(٥٤١)
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

ذكر مُلك الفرنج طرابلس الغرب

في هذه السنة ملك الفرنج، لعنهم اللّه، طرابُلُسَ الغرب؛ وسبب ذلك أنّ رُجّار ملك صَقَلّية جهّز أسطولاً كثيراً وسيّره إلى طرابُلُس، فأحاطوا بها برّاً وبحراً، ثالث المحرّم، فخرج إليهم أهلها وأنشبوا القتال، فدامت الحرب بينهم ثلاثة أيّام.

فلمّا كان اليوم الثالث سمع الفرنج بالمدينة ضجّة عظيمة، وخلت الأسوار من المقاتلة، وسبب ذلك أن أهل طرابلس كانوا قبل وصول الفرنج بأيّام يسيرة قد اختلفوا، فأخرج طائفة منهم بني مطروح، وقدّموا عليهم رجلاً من الملثّمين قدِم يريد الحجّ ومعه جماعة، فولّوه أمرهم، فلمّا نازلهم الفرنج أعادت الطائفة الأخرى بني مطروح، فوقعت الحرب بين الطائفتين، وخلت الأسوار، فانتهز الفرنج الفرصة ونصبوا السلاسم، وصعدو على السور، واشتدّ القتال، فملكت الفرنج المدينة عَنْوةً بالسيف، فسفكوا دماء أهلها، وسبوا نساءهم وأموالهم، وهرب مَن قدر على الهرب، والتجأ[1] إلى البربر والعرب، فنودي بالأمان في النّاس كافة، فرجع كلّ مَن فرّ منها.

وأقام الفرنج ستّة أشهر حتى حصّنوا أسوارها وحفروا خندقها، ولما عادوا أخذوا رهائن أهلها، ومعهم بنو مطروح والملثّم، ثمّ أعادوا رهائنهم، وولّوا عليها رجلاً من بني مطروح، وتركوا رهائنه وحده، واستقامت أمور المدينة، وأُلزم أهل صَقَلّية والروم بالسفر إليها، فانعمرت سريعاً، وحسُن حالها[2].

---

(١) في الأوربية: «والتجى».

(٢) المختصر في أخبار البشر ١٨/٣، العبر ١١١/٤، الروضتين ١٤٢/١، تاريخ ابن الوردي ٤٦/٢، =

ذكر حصر زنكي حصنَيْ جَعْبَر وفَنَك

وفي هذه السنة سار أتابَك زنكي إلى حصن جَعْبَر، وهو مُطِلّ على الفرات، وكان بيد سالم[1] بن مالك العُقَيليّ سلّمه مَلِكشاه إلى أبيه لما أخذ منه حلب، وقد ذكرناه، فحصره وسيّر جيشاً إلى قلعة فَنَك، وهي تجاور جزيرة ابن عُمر، بينهما فرسخان، فحصرها أيضاً، وصاحبها حينئذٍ الأمير حسام الدين الكُرديّ البَشنويّ.

وكان سبب ذلك أنّه كان لا يريد أن يكون في وسط بلاده ما هو ملك غيره، حزماً واحتياطاً، فنازل قلعة جَعْبَر وحصرها، وقاتله مَن بها، فلمّا طال عليه ذلك أرسل إلى صاحبها، مع الأمير حسّان المنبجيّ لمودّةٍ كانت بينهما، في معنى تسليمهما، وقال له: تضمن عنّي الإقطاع الكَثير والمال الجزيل، فإنْ أجاب إلى التسليم، وإلاّ فقُلْ له: واللّهِ لأقيمنّ عليك إلى أن أملكها عَنوةً، ثمّ لا أُبقي عليك، ومَن الذي يمنعك مني؟

فصعِد إليه حسّان، وأدّى إليه الرسالة، ووعده، وبذل له ما قيل له، فامتنع من التسليم، فقال له حسّان: فهو يقول لك مَن يمنعك مني؟ فقال: يمنعني منه الذي منعك من الأمير بَلْك. فعاد حسّان وأخبر الشهيد بامتناعه، ولم يذكر له هذا، فقُتل أتابك بعد أيام.

وكانت قصّة حسّان مع بلك ابن (أخي)[2] إيلغازي أنّ حسّان كان صاحب منَبج، فحصره بَلْك وضيّق عليه، فبينما هو في بعض الأيّام (يقاتله، جاءه)[3] سهمٌ لا يُعرف مَن رماه فقتله، وخلص حسّان من الحصْر، وقد تقدّم ذِكره، وكان هذا القول من الاتّفاق الحسن.

ولما قُتل أتابك زنكي رحل العسكر الذين كانوا يحاصرون قلعة فَنَك عنها، وهي بيد أعقاب صاحبها إلى الآن، وسمعتُهم يذكرون أنّ لهم بها نحو ثلاثمائة سنة، ولهم

= عيون التواريخ ١٢/٤٠٨، البداية والنهاية ١٢/٢٢١، مرآة الجنان ٣/٢٧٤، تاريخ ابن سباط ١/٨٠.

(١) في (أ): «بيد ولد سالم»، وفي (ب): «بيده سالم».

(٢) من (أ).

(٣) من (أ).

مقصد، وفيهم وفاء وعصبيّة، يأخذون بيد كلّ مَن يلتجىء إليهم ويقصدهم، ولا يسلّمونه كائناً مَن كان[1].

ذكر قتل أتابك عماد الدين زنكي وشيء من سيرته

في هذه السنة، لخمسٍ مَضَيْن من ربيع الآخر، قُتل أتابك الشهيد عماد الدين زنكي[2] بن آقسنقر، صاحب المَوصِل والشام، وهو يحاصر قلعة جَعْبَر، على ما ذكرناه، قتله جماعة من مماليكه ليلاً غِيلةً، وهربوا إلى قلعة جَعْبَر، فصاح مَن بها من أهلها إلى العسكر يعلمونهم بقتله، وأظهروا الفرح، فدخل أصحابه إليه، فأدركوه وبه رَمَق.

حدّثني والدي عن بعض خواصّه قال: دخلتُ إليه في الحال وهو حيّ، فحين رآني ظنّ أنّي أريد قتله، فأشار إليّ بإصبعه السبّابة يستعطفني، فوقعتُ من هيبته، فقتلُ: يا مولاي مَن فعل بك هذا؟ فلم يقدر على الكلام، وفاضت نفسه لوقته، رحمه الله.

قال: وكان حَسَن الصورة، أسمر اللّون، مليح العينين، قد وخطه الشيب[3]، وكان قد زاد عمره على ستّين سنة، لأنّه كان لما قُتل والده صغيراً، كما ذكرناه قبلُ، ولما قُتل دُفن بالرَّقّة.

وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيّته، عظيم السياسة، لا يقدر القويّ على ظُلم الضعيف؛ وكانت البلاد، قبل أن يملكها، خراباً من الظُلم، وتنقُّل الولاة، ومجاورة الفرنج، فعمّرها، وامتلأت أهلاً وسكّاناً.

حكى لي والدي قال: رأيتُ المَوصل وأكثرها خراب، بحيث يقف الإنسان قريب محلّة الطّبّالبين ويرى الجامع العتيق، والعَرَصَة، ودار السلطان، ليس بين ذلك عمارة؛ وكان الإنسان لا يقدر على المشي إلى الجامع العتيق إلاّ ومعه مَن يحميه، لبُعده عن

(١) التاريخ الباهر ٧٣، ٧٤، ذيل تاريخ دمشق ٢٨٥ (بالحاشية)، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٨.

(٢) أنظر عن مقتل عماد الدين زنكي والمصادر في: تاريخ الإسلام (٥٤١ هـ.) ص ٥، وتاريخ ابن سباط ١/ ٨٠، ٨١.

(٣) في الأوربية: «السيب».

العمارة، وهو الآن في وسط العمارة، وليس في هذه البقاع المذكورة كلّها أرض براح، وحدّثني أيضاً أنّه وصل إلى الجزيرة في الشتاء، فدخل الأمير عزّ الدين الدّبيسيّ، وهو من أكابر أمرائه، ومن جملة أقطاعه مدينة دقُوقا، ونزل في دار إنسان يهوديّ، فاستغاث اليهوديّ إلى أتابك، وأنهى حاله إليه، فنظر إلى الدّبيسيّ، فتأخرّ، ودخل البلد، وأخرج بركه وخيامه. قال: فلقد رأيتُ غلمانه ينصبون خيامه في الوحل، وقد جعلوا على الأرض تِبْناً يَقِيهم الطّين، وخرج فنزلها، وكانت سياسته إلى هذا الحدّ.

وكانت الموَصل من أقلّ بلاد اللّه فاكهة، فصارت في أيّامه، وما بعدها، من أكثر البلاد فواكه[1] ورياحين، وغير ذلك.

وكان أيضاً شديد الغيرة ولا سيّما على نساء الأجناد، وكان يقول: إنْ لم نحفظ نساء الأجناد بالهيبة، وإلاّ فسدْن لكثرة غيبة أزواجهنّ في الأسفار.

وكان أشجع خلق اللّه؛ أمّا قبل أن يملك فيكفيه أنّه حضر مع الأمير مودود صاحب الموصل مدينة طبريّة، وهي للفرنج، فوصلت طعنته باب البلد وأثّر[2] فيه، وحمل أيضاً على قلعة عقر الحميديّة، وهي على جبل عالٍ، فوصلت طعنته إلى سورها، إلى أشياء أُخر.

وأمّا بعد المُلك فقد كان الأعداء محدِقين ببلاده، وكلّهم يقصدها، ويريد أخذها، وهو لا يقنع بحفظها، حتى إنّه لا ينقضي عليه عام إلاّ ويفتح من بلادهم. فقد كان الخليفة المسترشد باللّه مجاوره في ناحية تَكْريت، وقصد المَوصل وحصرها، ثمّ إلى جانبه، من ناحية شَهْرَزُور وتلك الناحية، السلطان مسعود؛ ثمّ ابن سقمان صاحب خِلاط؛ ثمّ داود بن سقمان صاحب حِصن كِيفا؛ ثمّ صاحب آمِد وماردين؛ ثمّ الفرنج من مجاورة ماردين إلى دمشق؛ ثمّ أصحاب دمشق، فهذه الولايات قد أحاطت بولايته من كلّ جهاتها، فهو يقصد هذا مرّة وهذا مرّة، ويأخذ من هذا ويُصانع هذا، إلى أن ملك من كلّ من يليه طرفاً من بلاده، وقد أتينا على أخباره في كتاب «الباهر»[3] في

---

(١) في (أ): «فاكة».

(٢) في (أ): «أثرت».

(٣) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل)، بتحقيق عبد القادر أحمد طليمات ـ نشرته دار الكتب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثنّى ببغداد ١٩٦٣.

تاريخ دولته ودولة أولاده، فيُطلب من هناك.

ذكر مُلك ولدَيْه سيف الدين غازي ونور الدين محمود

لما قُتل أتابك زنكي أخذ نور الدين محمود ولده خاتمه من يده، وكان حاضراً معه، وسار إلى حلب فملكها(١).

وكان حينئذٍ يتولّى ديوان زنكي، ويحكم في دولته من أصحاب العمائم جمال الدين محمّد بن عليّ، وهو المنفرد بالحكم، ومعه أمير حاجب صلاح الدين محمّد الياغيسيانيّ، فاتّفقا على حفظ الدولة، وكان مع الشهيد أتابك الملك ألب أرسلان ابن السلطان محمود، فركب ذلك اليوم، وأجمعت العساكر عليه، وحضر عنده جمال الدين، وصلاح الدين، وحسّنا له الاشتغال بالشرب والمغنيّات والجواري، وأدخلاه الرَّقّة، فبقي بها أيّاماً لا يظهر، ثمّ سار إلى ماكِسِين، فدخلها، وأقام بها أيّاماً، وجمال الدين يحلّف الأمراء لسيف الدين غازي بن أتابك زنكي، ويسيّرهم [إلى] الموصل.

ثمّ سار من ماكِسين إلى سِنجار، وكان سيف الدين قد وصل إلى الموصل، فلمّا وصلوا إلى سِنجار أرسل جمال الدين إلى الدزدار يقول له ليرسل إلى ولد السلطان يقول له: إنّي مملوكك، ولكنّي تَبَع الموصِل، فمتى ملكتَها سلّمتُ إليك سنجار. فسار إلى الموصل، فأخذه جمال الدين وقصد به مدينة بَلْد(٢)، وقد بقي معه من العسكر القليل، فأشار عليه بعبور دِجلة، فعبرها إلى الشرق في نفرٍ يسير.

وكان سيف الدين غازي بمدينة شَهْرَزُور، وهي إقطاعه، فأرسل إليه زين الدين عليّ كوجك نائب أبيه بالموصل يستدعيه إلى الموصل، فحضر قبل وصول الملك، فلمّا علم جمال الدين بوصول سيف الدين إلى الموصل أرسل إليه يعرّفه قلّةَ مَن مع الملك، فأرسل إليه بعض عسكره، فقبضوا عليه، وحُبس في قلعة المَوصِل، واستقرّ مُلك سيف الدين البلاد، وبقي أخوه نور الدين بحلب وهي له، وسار إليه صلاح الدين

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٣/١٨، التاريخ الباهر ٨٥، ذيل تاريخ دمشق ٢٨٥، الروضتين ١/١١٩، زبدة الحلب ٢/٢٨٥، تاريخ مختصر الدول ٢٠٧، تاريخ الزمان ١٦٠، المنتظم ١٠/١١٩ (١٨/٤٨)، مفرّج الكروب ١/١٠٧، الدرّة المضية ٥٤٧، الكواكب الدرية ١٢١، ١٢٢، وغيره.

(٢) في الأوربية: «بلدة».

الياغيسيانيّ يدبّر أمره ويقوم بحفظ دولته، وقد استقصينا شرح هذه الحادثة في «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكِيّة»[1].

ذكر عصيان الرُّها لمّا قُتل أتابك

كان جُوسلين الفرنجي الذي كان صاحب الرُّها في ولايته، وهي تلّ باشِر وما يجاورها، فراسل أهلَ الرُّها وعامّتهم من الأرمن، وحملهم على العصيان، والامتناع على المسلمين، وتسليم البلد، فأجابوه إلى ذلك، وواعدهم يوماً[2] يصل إليهم فيه، وسار في عساكره إلى الرُّها، وملك البلد، وامتنعت القلعة عليه بمَن فيها من المسلمين، فقاتلهم، فبلغ الخبر إلى نور الدين محمود بن زنكي، وهو بحلب، فسار مُجِدّاً إليها في عسكره، فلمّا قاربها خرج جُوسلين هارباً عائداً إلى بلده، ودخل نور الدين المدينة، ونهبها حينئذٍ، وسبَى أهلها.

وفي هذه الدفعة نُهبت وخَلَت من أهلها، ولم يبقَ بها منهم إلاّ القليل، وكثير من النّاس يظنّ أنّها نُهبت لما فتحها الشهيد، وليس كذلك.

وبلغ الخبر إلى سيف الدين غازي بعصيان الرُّها، فسيّر العساكر إليها، فسمعوا بملك نور الدين البلد واستباحته، وهم في الطريق، فعادوا.

ومن أعجب ما يُحكى أنّ زين الدين عليّاً[3]، الذي كان نائب الشهيد وأولاده بقلعة الموصل، جاءه هديّة أرسلها إليه نور الدين من هذا الفتح، وفي الجملة جارية، فلمّا دخل إليها، وخرج من عندها وقد اغتسل، قال لمن عنده: تعلمون ما جرى[4] لي في يومنا هذا؟ قالوا: لا! قال: لما فتحنا الرُّها مع الشهيد وقع في يديّ من النهب جارية رائقة أعجبني حُسنها، ومال قلبي إليها، فلم يكن بأسرع من أن أمر الشهيد فنودي بردّ السّبْي والمال المنهوب، وكان مَهِيباً مخوفاً، فرددتُها وقلبي متعلّق بها، فلمّا كان الآن جاءتني هديّة نور الدين وفيها عدّة جوارٍ منهنّ تلك الجارية، فوطِئتُها

(١) الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١٦٧/١، تاريخ ابن سباط ٨٢/١، المختصر في أخبار البشر ١٩/٣، الروضتين ١/ ١٢٠،١٢١.

(٢) في الأوربية: «يوم».

(٣) في الأوربية: «عليّ».

(٤) في الأوربية: «جرا».

خوفاً أن يقع ردّ تلك الدفعة[1].

ذكر استيلاء عبد المؤمن على جزيرة الأندلس

في هذه السنة سيّر عبد المؤمن جيشاً إلى جزيرة الأندلس، فملكوا ما فيها من بلاد الإسلام.

وسبب ذلك أنّ عبد المؤمن لما كان يحاصر مَرّاكُشَ جاء إليه جماعة من أعيان الأندلس منهم أبو جعفر أحمد بن محمّد بن حمدين، ومعهم مكتوب يتضمّن بيَعة أهل البلاد التي هم فيها لعبد المؤمن، ودخولهم في زمرة أصحابه الموحّدين، وإقامتهم لأمره، فقبل عبد المؤمن ذلك منهم، وشكرهم عليه، وطيّب قلوبهم، وطلبوا منه النصرة على الفرنج، فجهّز جيشاً كثيفاً وسيّره معهم، وعمر أسطولاً وسيّره في البحر، فسار الأسطول إلى الأندلس، وقصدوا مدينة إشبيلية، وصعدوا في نهرها، وبها جيش من المُلَثّمين، فحصروها بَرّاً وبحراً وملكوها عَنوةً، وقُتل فيها جماعة، وأمن النّاس فسكنوا، واستولت العساكر على البلاد، وكان لعبد المؤمن (مَن بها)[2] [3].

ذكر قتل عبد الرحمن طغايُرك وعَبّاس صاحب الرَّيّ

في هذه السنة قتل السلطانُ مسعود أميرَ حاجب عبد الرحمن طغايُرك، وهو صاحب خَلْخال وبعض أَذَربيجان والحاكمُ في دولة السلطان، وليس للسلطان معه حكم.

وكان سبب قتله أنّ السلطان لما ضيّق عليه عبد الرحمن بقي معه شبه الأسير، ليس له في البلاد حُكم، حتى إنّ عبد الرحمن قصد غلاماً كان للسطان، وهو بك أرسلان، المعروف بخاصّ بك بن بلنكري، وقد ربّاه السلطان وقرّبه فأبعده عنه، وصار لا يراه، وكان في [خاصّ] بك عقل وتدبير وجودة قريحة، وتوصّل لما يريد أن

---

(١) التاريخ الباهر ٨٦، ٨٧، الروضتين ١/ ١٢٥، ١٢٦، زبدة الحلب ٢/ ٢٩٠، ٢٩١.

(٢) (من أ).

(٣) الخبر في: مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٩٥ (حوادث ٥٤٢ هـ.)، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ١٩، والدرّة المضية ٥٤١، وتاريخ الإسلام (٥٤١ هـ.) ص ٧، ٨، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٠٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٠.

يفعله، فجمع عبد الرحمن العساكر وخاصّ بك فيهم، وقد استقرّ بينه وبين السلطان مسعود أن يقتل عبد الرحمن، فاستدعى خاصّ بك جماعة مَن يثق بهم[1]، وتحدّث معهم في ذلك، فكلّ منهم خاف الإقدام عليه، إلاّ رجلاً اسمه زنكي، وكان جانداراً، فإنّه بذل من نفسه أن يبدأه بالقتل، ووافق خاصّ بك على القيام في الأمر جماعةٌ من الأمراء، فبينما عبد الرحمن في موكبه ضربه زنكي الجاندار بمقرعة حديد كانت في يده على رأسه، فسقط إلى الأرض، فأجهز عليه خاصّ بك، وأعانه على حماية زنكي والقائمين معه مَن كان واطأه على ذلك من الأمراء، وكان قتله بظاهر جنْزَة.

وبلغ الخبر إلى السلطان مسعود وهو ببغداد، ومعه الأمير عبّاس صاحب الرّيّ، وعسكره أكثر من عسكر السلطان، فأنكر ذلك، وامتعض منه، فداراه السلطان ولطف به، واستدعى الأمير البَقش كُون خَر من اللِّحْف وتَتَر الذي كان حاجباً، فلمّا قوي بهما أحضر عبّاساً إليه في داره، فلمّا دخل إليه مُنع أصحابه من الدخول معه، وعدلوا به إلى حجرة، وقالوا له: اخلع الزّردِيّة؛ فقال: إنّ لي مع السلطان أيْماناً وعهوداً؛ فلكموه، وخرج له غلمان أُعدّوا لذلك، فحينئذٍ تشاهَدَ وخلع الزَّرَديّة وألقاها، وضربوه بالسيوف، واحتزّوا رأسه وألقوه إلى أصحابه، ثمّ ألقوا جسده، ونُهب رَحْله وخيمه، وانزعج البلد لذلك.

وكان عبّاس من غلمان السلطان محمود، حَسَن السيرة، عادلاً في رعيّته، كثير الجهاد للباطنيّة، قتل منهم خلقاً كثيراً، وبنى من رؤوسهم منارة بالرّيّ، وحصر قلعةَ ألَموت، ودخل إلى قرية من قراهم فألقى فيها النّار، فأحرق كلّ مَن فيها من رجل وامرأة وصبيّ وغير ذلك، فلمّا قُتل [دُفن] بالجانب الغربي، ثمّ أرسلت ابنته فحملته إلى الرّيّ فدفنته هناك، وكان مقتله في ذي القعدة.

ومن الاتّفاق العجيب أنّ العِباديّ كان يعظ يوماً، فحضره عَبّاس، فأسمع بعض أهل المجلس ورمى بنفسه نحو الأمير عبّاس، فضربه أصحابه ومنعوه خوفاً عليه لأنّه كان شديد احتراس من الباطنيّة لا يزال لابساً الزّرديّة لا تفارقه الغلمان الأجلاد، فقال له العِباديّ: يا أمير إلامَ هذا الاحتراز! واللّه لئن قُضي عليك بأمر لتحلّنّ أنتَ بيدك أزرار الزّرديّة فينفذ القضاء فيك.

---

(١) في الأوربية: «إليهم».

وكان كما قال، وقد كان السلطان استوزر ابن دارست، وزير بوزابة، [كارهاً على ما تقدّم ذكره، فعزله الآن لأنّه اختار العزل والعود إلى صاحبه بوزابة][1] فلمّا عزله قرّر معه أن يصلح له بوزابة، ويزيل ما عنده من الاستشعار بسبب قتل عبد الرحمن وعبّاس، فسار الوزير وهو لا يعتقد النجاة، فوصل إلى بوزابة وكان ما نذكره[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة حبَس السلطان مسعود أخاه سليمان شاه بقلعة تَكْريت[3].

وفيها توفّي الأمير جاولي[4] الطُّغْرُلي صاحب أرّانيّة وبعض أذْرَبيجان، وكان قد تحرّك للعصيان، وكان موته فجأةً، مدّ قوساً فنزف دماً فمات.

[الوفيات]

وتوفّي شيخ الشيوخ صدر الدين إسماعيل بن أبي سعد الصوفيّ[5]، مات ببغداد، ودُفن بظاهر رِباط الزَّوزني بباب البصرة، ومولده سنة أربعٍ وستّين وأربعمائة، وقام في منصبه ولده صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم.

وفيها توفّي نقيب النُّقباء محمّد بن طِراد[6] الزَّينبيّ أخو شرف الدين الوزير.

[ذكر عدّة حوادث]

وفيها وليَ مسعود بن بلال شحنكيّة بغداد، وسار السلطان عنها.

وفيها كان بالعراق جرادٌ كثيرٌ أمحل أكثر البلاد[7].

وفيها ورد العِباديُّ الواعظ رسولاً من السلطان سَنْجَر إلى الخليفة، ووعظ ببغداد، وكان له قبولٌ بها، وحضر مجلسه السلطان مسعود فمَن دونه، وأمّا العامّة

---

(١) ما بين الحاصرتين من الباريسية، ورقم ٧٤٠.

(٢) نهاية الأرب ٢٧/٤٧ ـ٤٩، تاريخ دولة آل سلجوق ١٩٦ ـ٢٠٠.

(٣) نهاية الأرب ٢٧/٤٩، المنتظم ١٠/١١٩ (١٨/٤٩).

(٤) أنظر عن (جاولي) في: تاريخ دولة آل سلجوق ١٨٦.

(٥) أنظر عن (الصوفي) في: تاريخ الإسلام (٥٤١ هـ.) ص ٥٦، ٥٧ رقم ٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) أنظر عن (ابن طراد) في: تاريخ الإسلام (٥٤١ هـ.) ص ٨٠، ٨١ رقم ٤٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) المنتظم ١٠/١٢٠ (١٨/٥٠).

فإنّهم كانوا يتركون أشغالهم لحضور مجلسه والمسابقة إليه[1].

وفيها بعد قتل الشهيد زنكي بن آقسنْقر قصد صاحب دمشق حصن بَعْلَبَكّ وحصرَه، وكان به نجم الدين أيّوب بن شاذيّ مستحفظاً لها، فخاف أنّ أولاد زنكي لا يمكنهم إنجاده بالعاجل، فصالحه وسلّم القلعة إليه، وأخذ منه إقطاعاً ومالاً، وملّكه عدّة قُرًى من بلد دمشق، وانتقل أيّوب إلى دمشق فسكنها وأقام بها[2].

[الوفيات]

وفي هذه السنة، في ربيع الآخر، توفّي عبد اللّه بن عليّ بن أحمد أبو محمّد المُقْري[3] ابن بنت الشيخ أبي منصور، ومولده في شعبان سنة أربعٍ وستّين وأربعمائة، وكان مُقرئاً نحويّاً، محدّثاً، وله تصانيف في القراءات[4].

---

(١) المنتظم ١٠/ ١٢٠ (١٨/ ٤٩).

(٢) ذيل تاريخ دمشق ٢٨٧، ٢٨٨، تاريخ الزمان ١٦١، الروضتين ١/ ١٢٤، تاريخ الإسلام (٥٤١ هـ.) ص ٧، عيون التواريخ ١٢/ ٤٠٨، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢١، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٣٨، تاريخ ابن سباط ١/ ٨٢.

(٣) أنظر عن (أبي محمد المقرىء) في: تاريخ الإسلام (٥٤١ هـ.) ص ٦٩ ـ ٧٢ رقم ٢٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) وفي نسخة (أ) زيادة: «وتوفي أبو الحسن محمد المظفّر رئيس الرؤساء، وكان قد تزهّد وتصوّف، وهو من أعيان بغداد».
وأقول: هو من المتوفين في السنة التالية ٥٤٢ هـ. وسيذكر هناك.

(٥٤٢)

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة

ذكر قتل بوزابة

لما اتّصل بالأمير بُوزَابة[١] قتل عبّاس جمع عساكره من فارس وخُوزستان، وسار إلى أصفهان فحصرها، وسيّر عسكراً آخر إلى هَمَذان، وعسكراً ثالثاً إلى قلعة الماهكي من بلد اللِّحف، فأمّا عسكره الذي بالماهكي فإنّه سار إليهم الأمير البقش كون خَر، فدفعهم عن أعماله، وكانت[٢] أقطاعه، ثمّ إنّ بوزابة سار عن أصفهان يطلب السلطان مسعوداً، فراسله السلطان في الصلح، فلم يُجِب إليه، سار مُجِدّاً، فالتقيا بمرج قُراتُكين، وتصافّا، فاقتتل العسكران، فانهزمت ميمنة السلطان مسعود وميسرته. واقتتل القلبان أشدّ قتال وأعظمه، صبر فيه الفريقان، ودامت الحرب بينهما، فسقط بوزابة عن فرسه بسهمٍ أصابه، وقيل بل عثر به الفَرس فأُخذ أسيراً، وحُمل إلى السلطان فقُتل بين يديه، وانهزم أصحابه لما أُخذ هو أسيراً.

وبلغت هزيمة العسكر السلطانيّ من الميمنة والميسرة إلى همذان، وقُتل بين الفريقين خلقٌ كثير، وكانت هذه الحرب من أعظم الحروب الكائنة بين الأعاجم[٣].

ذكر طاعة أهل قَابِس للفرنج وغلبة المسلمين عليها

كان صاحب مدينة قَابِس، قبل هذه السنة، إنساناً اسمُه رشيد، فتوفّي وخلّف

---

(١) في ذيل تاريخ دمشق «بوزبة»، وفي دول الإسلام «بزاية»، وفي تاريخ الإسلام «بُزَبة».

(٢) في الأوربية: «وكان».

(٣) المنتظم ١٠/ ١٢٠ (١٨/ ٥٥)، ذيل تاريخ دمشق ٢٩٤، ٢٩٥، تاريخ دولة آل سلجوق (٢٠١، ٢٠٢، زبدة التواريخ ٢٢٥، دول الإسلام ٢/ ٥٨، تاريخ الإسلام (٥٤٢ هـ.) ص ٩، نهاية الأرب ٢٧/ ٤٩، ٥٠.

أولاداً، فعمد مولًى له اسمُه يوسف إلى ولده الصغير، واسمه محمّد، فولاّه الأمر، وأخرج ولده الكبير واسمه معمر، واستولى يوسف على البلد، وحكم على محمّد لصِغر سنّه.

وجرى منه أشياء من التعرّض إلى حُرَم سيدّه، والعهدة على ناقله، وكان من جملتهنّ امرأة من بني قُرّة، فأرسلت إلى إخوتها تشكو إليهم ما هي فيه، فجاء إخوتها لأخذها فمنعهم، وقال: هذه حُرمة مولاي؛ ولم يسلّمها، فسار بنو قُرّة ومعمر بن رشيد إلى الحسن صاحب إفريقية، وشكوا إليه ما يفعل يوسف، فكاتبه الحسن في ذلك، فلم يُجِب إليه، وقال: لَئِن لم يكفّ الحسن عنّي وإلاّ سلّمتُ قابِس إلى صاحب صَقَلّية، فجهزّ الحسن العسكر إليه، فلمّا سمع يوسف بذلك أرسل إلى رُجّار الفرنجيّ، صاحب صَقَلّية، وبذل له الطاعة، وقال له: أريد منك خِلعة وعهداً بولاية قابِس لأكون نائباً عنك كما فعلتَ مع بني مطروح في طرابُلُس، فسيّر إليه رُجّار الخِلعة والعهد، فلبِسها، وقُرىء العهد بمجمعٍ من النّاس.

فجدّ حينئذٍ الحسن في تجهيز العسكر إلى قابِس، فساروا إليها ونازلوها وحصروها، فثار أهل البلد بيوسف لما اعتمده من طاعة الفرنج، وسلّموا البلد إلى عسكر الحسن، وتحصّن يوسف في القصر، فقاتلوه حتى فتحوه، وأُخذ يوسف أسيراً، فتولّى عذابه معمر بن رشيد وبنو قُرّة، فقطعوا ذكَرَه، وجعلوه في فمه، وعُذّب بأنواع العذاب.

ووليَ معمر قابِس مكان أخيه محمّد، وأخذ بنو قُرّة أختهم، وهرب عيسى أخو يوسف وولد يوسف، وقصدوا رُجّار، صاحب صَقَلّية، فاستجاروا به، وشكوا إليه ما لقوا من الحسن، فغضب لذلك، وكان ما نذكره سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائة من فتح المَهْديّة، إن شاء الله تعالى.

ذكر حادثة ينبغي أن يحتاط العاقل من مثلها

كان يوسف هذا صاحب قابِس قد أرسل رسولاً إلى رجّار بصَقَلِيّة، فاجتمع هو ورسول الحسن صاحب المهدِيّة عنده، فجرى بين الرسولَين مناظرة، فذكر رسول يوسف الحَسَن وما نال منه[1]، وذمّه، ثمّ إنّهما عادا في وقت واحد، وركبا البحر كلّ

(١) في (أ): «ونال منه».

واحدٍ منهما في مركبه، فأرسل رسول الحسن رُقعة إلى صاحبه على جَناح طائر يُخبره بما كان من رسول يوسف، فسيّر الحسن جماعة من أصحابه في البحر، فأخذوا رسول يوسف وأحضروه عند الحسن، فسبّه وقال: ملّكتَ الفرنج بلاد الإسلام وطوّلتَ لسانك بذميّ! ثمّ أركبه جمَلاً وعلى رأسه طرطور بجَلاجِل، وطيفَ به في البلد، ونُودي عليه: هذا جزاء مَن سعى أن يملّك الفرنج بلاد المسلمين، فلمّا توسّط المهَدِيّةَ ثار به العامّة فقتلوه بالحجارة.

ذكر مُلك الفرنج المَرِيّةَ وغيرها من الأندلس

في هذه السنة، في جُمادى الأولى، حصر الفرنج مدينة المَرِيّة من الأندلس، وضيّقوا عليها برّاً وبحراً، فملكوها عَنوةً، وأكثروا القتلَ بها والنّهب، وملكوا أيضاً مدينة بياسةَ، وولاية جَيّانَ، وكلّها بالأندلس، ثمّ استعادها المسلمون بعد ذلك منهم، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى.

ذكر مُلك نُور الدين محمود بن زنكي عدّة مواضع من بلد الفرنج

في هذه السنة دخل نور الدين محمود بن زنكي، صاحب حلب، بلد الفرنج، ففتح منه مدينة أرتاحَ بالسيف ونهبها، وحصن مابولةَ، وبُصرفُون، وكَفَرلاثَا. وكان الفرنج بعد قتل والده زنكي قد طمعوا، وظنّوا أنّهم بعده يستردّون ما أخذه، فلمّا رأوا من نور الدين هذا الجدّ في أوّل أمره علموا أنّ ما أمّلوه بعيدٌ[1].

ذكر أخذ الحِلّة من عليّ بن دُبيس وعوده إليها

في هذه السنة كثُر فساد أصحاب عليّ بن دُبيس بالحِلّة وما جاورها، وكثُرت الشكاوى منه، فأقطع السلطان مسعود الحِلّة للأمير سَلاركُردَ، فسار إليها من هَمَذانَ ومعه عسكر، وانضاف إليه جماعة من عسكر بغداد، وقصدوا الحِلّة، فجمع عليّ عسكره وحشد، والتقى العسكران بمُطيراباذ، فانهزم عليّ، وملك سلاركردُ الحِلّة، واحتاط على أهل عليّ ورجعت العساكر، وأقام هو بالحِلّة في مماليكه وأصحابه،

---

(١) زبدة الحلب ٢/ ٢٩١، الروضتين ١/ ١٣٢،١٣٣، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٩٥، المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٩، نهاية الأرب ٢٧/ ١٥٣، دول الإسلام ٢/ ٥٨، العبر ٤/ ١١٤، تاريخ الإسلام (٥٤٢ هـ.) ص ١٠، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٣٨، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٠.

وسار عليُّ بن دُبيس فلحِق بالبَقْش كُون خَر، وكان بأقطاعه، في اللَّحف، متجنّياً على السلطان، فاستنجده، فسار معه إلى واسط، واتّفق هو والطُرنطاي، وقصدوا الحِلّة فاستنقذوها من سلاركُرد في ذي الحجّة، وفارقها سلاركرد وعاد إلى بغداد.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في جُمادى الأولى، خُطب للمستنجد باللّه يوسف بن المقتفي لأمر اللّه بولاية العهد.

وفيها وليَ عَوْن الدين يحيَى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام ببغداد، ووليَ زعيم الدين يحيَى بن جعفر المخزن[١].

[الوفيات]

وفيها، في ربيع الأوّل، مات أبو القاسم طاهر بن سعيد بن أبي سعيد بن أبي الخير المِيهنيُّ[٢]، شيخ رباط البِسطاميّ ببغداد.

وفي ربيع الآخر توفّيت فاطمة خاتون[٣] بنت السلطان محمّد زوجة المقتفي لأمر اللّه.

وفي رجب منها مات أبو الحسن محمّد بن المظفّر[٤] بن عليّ بن المُسلمة، ابن رئيس الرؤساء، ومولده سنة أربعٍ وثمانين [وأربعمائة]، وكان قد تصوّف، وجعل داره التي في القصر رِباطاً للصوفيّة.

وفيها سار سيف الدين غازي بن زنكي إلى قلعة دارا، فملكها وغيرها من بلد ماردين، ثمّ سار إلى ماردين وحصرها وخرّب بلدها ونهبه.

وكان سبب ذلك أنّ أتابك زنكي لما قُتل تطاول صاحب ماردين وصاحب الحصن إلى ما كان قد فتحه من بلادهما فأخذاه، فلمّا ملك سيف الدين وتمكّن سار إلى ماردين وحصرها، وفعل ببلدها الأفاعيل العظيمة، فلمّا رأى صاحبها، وهو حينئذٍ

---

(١) المنتظم ١٠/١٢٥ (١٨/٥٦).

(٢) المنتظم ١٠/١٢٨ رقم ١٩٠ (١٨/٥٩ رقم ٤١٣٨).

(٣) المنتظم ١٠/١٢٨ رقم ١٩٣ (١٨/٦٠ رقم ٤١٤٢)، تاريخ الإسلام (٥٤٢ هـ.) ص ١١٦ رقم ٩٩.

(٤) المنتظم ١٠/١٢٩ رقم ١٩٥ (١٨/٦١ رقم٤١٤٤)، تاريخ الإسلام (٥٤٢ هـ.) ص ١٢٣ رقم ١١٣.

حسام الدين تِمِرْتاش، ما يفعل في بلده قال: كنّا نشكو من أتابك الشهيد، وأين أيّامه؟ لقد كانت أعياداً. قد حصرنا غير مرّة، فلم يأخذ هو ولا أحدٌ من عسكره مِخلاة تبن بغير ثمن، ولا تعدّى هو وعسكره حاصل السلطان، وأرى هذا ينهب البلاد ويخرّبها.

ثمّ راسله وصالحه، وزوّجه ابنتَه، ورحل سيف الدين عنه وعاد إلى الموصل، وجُهّزت ابنة حسام الدين وسُيّرت إليه، فوصلت وهو مريض قد أشفى على الموت، فلم يدخل بها، وبقيت عنده إلى أن تُوفّي، ومَلك قُطْب الدين مودود، فتزوّجها، على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى[1].

وفيها اشتدّ الغلاء بإفريقية ودامَت أيّامه، فإنّ أولّه كان سنة سبْع وثلاثين وخمسمائة، وعظُم الأمر على أهل البلاد حتى أكل بعضهم بعضاً، وقصد أهلَ البوادي المدن من الجوع، فأغلقها أهلها دونهم، وتبِعه وباء وموتٌ كثير، حتى خلت البلاد. وكان أهل البيت لا يبقى منهم أحد، وسار كثير منهم إلى صَقَليّة في طلب القوت، ولقوا أمراً عظيماً[2].

---

(١) تاريخ الإسلام (٥٤٢ هـ.) ص ١١، التاريخ الباهر ٩٠/٩١.

(٢) العبر ٤/١١٤، تاريخ الإسلام (٥٤٢ هـ.) ص ١١، مرآة الجنان ٣/٢٧٥، البداية والنهاية ١٢/٢٢٢، اتعاظ الحنفا ٣/١٨٧.

(٥٤٣)
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

ذكر مُلك الفرنج مدينة المَهدِيّة بإفريقية

قد ذكرنا سنة إحدى وأربعين وخمسمائة مسير أهل يوسف، صاحب قابِس، إلى رُجّار، ملك صَقَلّيَة، واستغاثتهم به، فغضب لذلك، وكان بينه وبين الحسن بن عليّ بن يحيَى بن تميم بن المُعزّ بن باديس الصنهاجيّ، صاحب إفريقية، صلح وعهود إلى مدّة سنتين، وعلم أنّه فاته فتح البلاد في هذه الشدة[1] التي أصابتهم، وكانت الشدّة دوام الغلاء في جميع المغرب من سنة سبع وثلاثين إلى هذه السنة، وكان أشدّ ذلك سنة اثنتين وأربعين، فإنّ النّاس فارقوا البلاد والقُرى، ودخل أكثرهم إلى مدينة صَقَلّية، وأكل النّاس بعضهم بعضاً، وكثُر الموت في النّاس، فاغتنم رُجّار هذه الشدّة، فعمر الأسطول، وأكثر منه، فبلغ نحو مائتين[2] وخمسين شينيّاً مملوءة رجالاً وسلاحاً وقُوتاً.

وسار الأسطول عن صَقلّية، ووصل إلى جزيرة قَوْصَرَةَ، وهي بين المهديّة وصَقَلّية، فصادفوا[3] بها مركباً وصل من المهديّة، فأُخذ أهله وأُحضروا بين يدَي جُرْجي مقدّم الأسطول، فسألهم عن حال إفريقية، ووجد في المركب قفص حمام، فسألهم هل أرسلوا منها، فحلفوا أنّهم لم يرسلوا منها شيئاً، فأمر الرجلَ الذي كان الحمام صُحبته أن يكتب بخطّه: إنّنا لما وصلنا جزيرة قَوصَرة وجدنا بها مراكب من صَقَلّية، فسألناهم عن الأسطول المخذول، فذكروا أنّه أقلع إلى جزائر القسطنطينيّة.

---

(١) في الباريسية ونسخة رقم ٧٤٠ «السنة».
(٢) في (أ): «مائة».
(٣) في الأوربية: «فصدفوا».

وأُطلق الحمام فوصل إلى المهديّة، فسرّ الأمير الحسن والنّاس؛ وأردا جُرْجي بذلك أن يصل بغتةً، ثمّ سار، وقدّر وصولهم إلى المهديّة وقت السَّحَر ليحيط بها قبل أن يخرج أهلها، فلو تمّ له ذلك لم يسلم منهم أحدٌ، فقدّر اللّه تعالى أن أرسل عليهم ريحاً هائلة عكستهم، فلم يقدروا على المسير إلاّ بالمقاذيف، فطلع النهار ثاني صفَر في هذه السنة قبل وصولهم، فرآهم النّاس، فلمّا رأى جُرجي ذلك وأنّ الخديعة فاتته، أرسل إلى الأمير الحسن يقول: إنّما جئتُ بهذا الأسطول طالباً بثأر محمّد بن رشيد صاحب قابِس وردّه إليها، وأمّا أنتَ فبينَنا وبينَك عهود وميثاق إلى مدّة، ونُريد منك عسكراً يكون معنا.

فجمع الحسن النّاس من الفقهاء والأعيان وشاورهم، فقالوا: نقاتل عدوّنا، فإنّ بلدنا حصين. فقال: أخاف أن ينزل إلى البرّ ويحصرنا برّاً وبحراً، ويحول بينَنا وبين المِيرة، وليس عندنا ما يقوتنا شهراً، فنؤخذ قهراً، وأنا أرى سلامة المسلمين من الأسر والقتل خيراً[1] من الملك[2]، وقد طلب مني عسكراً إلى قابِس، فإذا فعلتُ فما يحلّ لي معونة الكفّار على المسلمين، وإذا امتنعتُ يقول: انتقض ما بينَنا من الصلح، وليس يريد إلاّ أن يثبطنا حتى يحول بينَنا وبين البرّ، وليس لنا بقتاله طاقة، والرأي أن نخرج بالأهل والولد ونترك البلد، فمَن أراد أن يفعل كفِعلِنا فلْيُبادرْ معنا.

وأمر في الحال بالرحيل، وأخذ معه مَن حضره وما خفّ حَمله، وخرج النّاس على وجوههم بأهليهم وأولادهم، وما خفّ من أموالهم وأثاثهم، ومن النّاس مَن اختفى عند النصارى وفي الكنائس، وبقي الأسطول في البحر تمنعه الريح من الوصول إلى المَهديّة إلى ثُلثي النهار، فلم يبقَ في البلد ممّن عزم على الخروج أحدٌ، فوصل الفرنج ودخلوا البلد بغير مانع ولا دافع، ودخل جُرجي القصر فوجده على حاله لم يأخذ الحسن منه إلاّ ما خفّ من ذخائر الملوك، وفيه جماعة من حظاياه، ورأى الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة، وكلّ شيء غريب يقلّ وجود مثله، فختم عليه، وجمع سراري الحسن في قصره.

وكان عدّة مَن ملك منهم من زيري بن مَناد إلى الحسن تسعة ملوك، ومدّة

---

(١) في الأوربية: «خير».

(٢) في (أ): «خوفاً من الملك».

ولايتهم مائتا سنة وثماني سنوات، من سنة خمسٍ وثلاثين وثلاثمائة إلى سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائة؛ وكان بعض القوّاد قد أرسله الحسن إلى رُجّار برسالة، فأخذ لنفسه وأهله منه أماناً، فلم يخرج معهم، ولما ملك المدينة نُهبت مقدار ساعتَين، ونودي بالأمان، فخرج مَن كان مستخفياً، وأصبح جُرجي من الغد، فأرسل إلى مَن قرب من العرب، فدخلوا إليه[1]، فأحسن إليهم، وأعطاهم أموالاً جزيلة، وأرسل من جُند المهديّة الذين تخلّفوا بها جماعة، ومعهم أمان لأهل المَهديّة الذين خرجوا منها، ودوابُّ يحملون عليها الأطفال والنساء، وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من الجوع، ولهم بالمهديّة خبايا وودائع، فلمّا وصل إليهم الأمان رجعوا، فلم تمضِ جمعة حتى رجع أكثر أهل البلد.

وأمّا الحسن فإنّه سار بأهله وأولاده، وكانوا اثني عشر ولداً ذكراً غير الإناث، وخواصّ خدمه، قاصداً إلى مُحرز بن زياد، وهو بالمعلّقة، فلقيه في طريقه أمير من العرب يسمّى حسن بن ثعلب، فطلب منه مالاً انكسر له في ديوانه، فلم يمكن الحسن إخراج مال لئلاّ يؤخذ، فسلّم إليه ولدَه يحيَى رهينةً وسار، فوصل في اليوم الثاني إلى مُحرز، وكان الحسن قد فضّله على جميع العرب وأحسن إليه، ووصله بكثير من المال، فلقيه محرز لقاء جميلاً، وتوجّع لما حلّ له، فأقام عنده شهوراً، والحسن كارهٌ للإقامة، فأراد المسير إلى ديار مصر إلى الخليفة الحافظ العلويّ، واشترى مركباً لسفره، فسمع جُرجي الفرنجي، فجهّز شواني ليأخذه، فعاد الحسن عن ذلك، وعزم على المسير إلى عبد المؤمن بالمغرب، فأرسل كبار أولاده يحيَى وتميماً وعليّاً إلى يحيَى بن العزيز، وهو من بني حمّاد، وهما أولاد عمّ، يستأذنه في الوصول إليه، وتجديد العهد به، والمسير من عنده إلى عبد المؤمن، فأذِن له يحيَى، فسار إليه، فلمّا وصل لم يجتمع به يحيَى وسيّره إلى جزيرة بني مَزْغَنّاي هو وأولاده ووكّل به من يمنعهم من التصرّف، فبقوا كذلك إلى أن ملك عبد المؤمن بِجَايَةَ سنة سبْعٍ وأربعين [وخمسمائة]، فحضر عنده وقد ذكرنا حاله هناك.

ولما استقرّ جُرجي بالمهديّة سيّر أسطولاً، بعدَ أسبوع، إلى مدينة سَفاقُس، وسيّر أسطولاً آخر إلى مدينة سُوسَة، فأمّا سُوسَة فإنّ أهلها لما سمعوا خبر المَهديّة، وكان

(١) في (ب): «فدخلوا المدينة».

واليها عليّ بن الحَسَن الأمير، فخرج إلى أبيه، وخرج النّاس لخروجه، فدخلها الفرنج بلا قتال ثاني عشر صفر؛ وأمّا سفاقُس فإنّ أهلها أتاهم كثير من العرب، فامتنعوا بهم، فقاتلهم الفرنج، فخرج إليهم أهل البلد، فأظهر الفرنج الهزيمة، وتبِعهم النّاس حتى أبعدوا عن البلد، ثمّ عطفوا عليهم، فانهزم قوم إلى البلد وقوم إلى البرّيّة، وقُتل منهم جماعة، ودخل الفرنج البلد فملكوه بعد قتال شديد وقتلى كثيرة، وأُسر مَن بقي من الرجال وسُبي الحريم، وذلك في الثالث والعشرين من صفر، ثمّ نودي بالأمان، فعاد أهلها إليها، وافتكّوا حُرَمهم وأولادهم، ورُفق بهم وبأهل سُوسَة والمهديّة، وبعد ذلك وصلَتْ كتبٌ من رُجّار لجميع أهل إفريقية بالأمان والمواعيد الحسنة.

ولما استقرّت أحوال البلاد سار جُرجي في أسطول إلى قلعة إقليبيَة، وهي قلعة حصينة، فلمّا وصل إليها سمعته العرب، فاجتمعوا إليها، ونزل إليهم الفرنج، فاقتتلوا فانهزم الفرنج، وقُتل منهم خلق كثير، فرجعوا خاسرين إلى المهَديّة، وصار للفرنج من طرابُلُس الغرب إلى قريب تُونُس، ومن المغرب إلى دون القَيروان، والله أعلم[1].

ذكر حصر الفرنج دمشق وما فعل سيف الدين غازي بن زنكي

في هذه السنة سار ملك الألمان من بلاده في خلْق كثير وجمْعٍ عظيم من الفرنج، عازماً على قصد بلاد الإسلام، وهو لا يشكّ في مُلكها بأيسرِ قتال لكثرة جموعه، وتوفُّر أمواله وعُدَده، فلمّا وصل إلى الشام قصده مَن به من الفرنج وخدموه، وامتثلوا أمره ونهيه، فأمرهم بالمسير معه إلى دمشق ليحصرها ويملكها بزعمه، فساروا معه ونازلوها وحصروها، وكان صاحبها مجير الدين أَبَق بن بُوري بن طُغدَكين، وليس له من الأمر شيء، وإنّما الحكم في البلد لمعين الدين أُنُر مملوك جدّه طُغدكين، وهو الذي أقام مُجير الدين؛ وكان معين الدين عاقلاً، عادلاً، خيّراً، حَسَن السيرة، فجمع العساكر وحفظ البلد.

وأقام الفرنج يحاصرونهم، ثمّ إنّهم زحفوا سادس ربيع الأوّل بفارسهم وراجلهم، فخرج إليهم أهل البلد والعسكر فقاتلوهم، وصبروا لهم، وفيمن خرج

---

(١) المختصر في أخبار البشر ١٩/٣، العبر ١١٨/٤، تاريخ الإسلام (٥٤٣ هـ.) ص ١٧، تاريخ ابن الوردي ٤٧/٢، البداية والنهاية ٢٢٣/١٢، اتعاظ الحنفا ١٨٨/٢، تاريخ ابن سباط ٨٧/١.

للقتال الفقيه حُجّة الدين يوسف بن دي ناس الفنْدلاويّ المغربيّ، وكان شيخاً كبيراً، فقيهاً عالماً، فلمّا رآه معين الدين، وهو راجل، قصده وسلّم عليه، وقال له: يا شيخ أنت معذور لِكبَر سِنّك، ونحن نقوم بالذَّبّ عن المسلمين؛ وسأله أن يعود، فلم يفعل وقال له: قد بعتُ واشترى منّي، فواللّهِ لا أقلته ولا استقلته؛ فعنى قولَ اللّه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[1].

وتقدّم فقاتل حتى قُتل عند النَّيْرَب نحو نصف فرسخ عن دمشق.

وقوي الفرنج وضعف المسلمون، فتقدّم ملك الألمان حتى نزل بالمَيدان الأخضر، فأيقن النّاس بأنّه يملك البلد. وكان معين الدين قد أرسل إلى سيف الدين غازي بن أتابك زنكي يدعوه إلى نُصرة المسلمين، وكفّ العدوّ عنهم، فجمع عساكره وسار إلى الشام، واستصحب معه أخاه نور الدين محمود من حلب، فنزلوا بمدينة حِمصَ، وأرسل إلى معين الدين يقول له: قد حضرتُ ومعي كلّ مَن يحمل السّلاح في بلادي، فأريد أن يكون نوابي بمدينة دمشق لأحضر وألقى الفرنج، فإن انهزمتُ دخلتُ أنا وعسكري البلد واحتمينا به، وإنْ ظفرتُ فالبلد لكم لا أنازعكم فيه.

فأرسل إلى الفرنج يتهدّدهم إن لم يرحلوا عن البلد، فكفّ الفرنج عن القتال خوفاً من كثرة الجراح، ورُبّما اضطّروا إلى قتال سيف الدين، فأبقوا على نفوسهم، فقوي أهل البلد على حفظه، واستراحوا من لزوم الحرب، وأرسل معين الدين إلى الفرنج الغرباء: إنّ ملك المشرق قد حضر، فإنّ رحلتم، وإلاّ سلّمتُ البلد إليه، وحينئذٍ تندمون؛ وأرسل إلى فرنج الشام يقول لهم: بأيّ عقل تساعدون هؤلاء علينا، وأنتم تعلمون أنّهم إنْ ملكوا دمشق أخذوا ما بأيديكم من البلاد الساحليّة، وأمّا أنا فإن رأيتُ الضعف عن حفظ البلد سلّمتُه إلى سيف الدين، وأنتم تعلمون أنّه إنْ ملك دمشق لا يبقى لكم معه مقام في الشام؛ فأجابوه إلى التخلّي عن ملك الألمان، وبذل لهم تسليم[2] حصن بانياس إليهم.

واجتمع الساحليّة بملك الألمان، وخوّفوه من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) في الأوربية: «تسلّم».

الأمداد إليه، وأنّه ربّما أخذ دمشق وتضعف[1] عن مقاومته؛ ولم يزالوا به حتى رحل عن البلد، وتسلّموا قلعة بانياس، وعاد الفرنج الألمانيّة إلى بلادهم وهي من وراء القسطنطينيّة، وكفى اللّه المؤمنين شرّهم[2].

وقد ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق: أنّ بعض العلماء حكى له أنّه رأى الفندلاويّ في المنام، فقال له: ما فعل اللّه بك، وأين أنت؟ فقال: غفر لي، وأنا في جَنّات عَدن على سُرُرٍ متقابلين[3].

ذكر مُلك نور الدين محمود بن زنكي حصن العُرَيمة

لما سار الفرنج عن دمشق رحل نور الدين إلى حصن العُرَيْمَة، وهو للفرنج، فملكه.

وسبب ذلك أن ملك الألمان لما خرج إلى الشام كان معه ولد الفنُش، وهو من أولاد ملوك الفرنج، وكان جدّه هو الذي أخذ طرابلس الشام من المسلمين، فأخذ حصن العُرَيمة وتملّكه، وأظهر أنّه يريد أخذ طرابُلس من القمّص، فأرسل القمّص إلى نور الدين محمود، وقد اجتمع هو ومعين الدين أُنُر ببَعْلَبَكّ، يقول له ولمعين الدين ليقصدا حصن العُرَيمة ويملكاه من ولد الفُنش، فسارا إليه مُجِدّين في عساكرهما، وأرسلا إلى سيف الدين وهو بحمص يستنجدانه، فأمدّهما بعسكر كثير مع الأمير عزّالدين أبي بكر الدُّبيسيّ، صاحب جزيرة ابن عُمَر وغيرها، فنازلوا الحصن وحصروه، وبه ابنُ الفُنش، فحماه وامتنع به، فزحف المسلمون إليه غير مرّة، وتقدّم

---

(١) في الأوربية: «ونضعف».

(٢) التاريخ الباهر ٨٨، ٨٩، ذيل تاريخ دمشق ٢٩٧ ـ ٣٠٠، المنتظم ١٠/ ١٣٠، ١٣١، (١٨/ ٦٣، ٦٤)، الروضتين ١/ ١٣٣ ـ ١٣٨، الاعتبار ٩٤، ٩٥، مفرّج الكروب ١/ ١١٢، تاريخ دولة آل سلجوق ٢٠٧، المختصر لأبي الفداء ٣/ ٢٠، نهاية الأرب ٢٧/ ١٥٠، ١٥١، زبدة الحلب ٢/ ٢٩٢، تاريخ الزمان ١٦٢، ١٦٣، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٩٧ ـ ١٩٩، الدرّة المضية ٥٤٩، ٥٥٠، دول الإسلام ٢/ ٥٨، ٥٩، العبر ٤/ ١١٦ ـ ١١٨، تاريخ الإسلام (٥٤٣ هـ.) ص ١٢ ـ ١٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٧، ٤٨، مرآة الجنان ٣/ ٢٧٧، ٢٧٨، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٣، ٢٢٤، عيون التواريخ ١٢/ ٤١٦، ٤١٧، الإعلام والتبيين ٢٥ ـ ٢٧ الكواكب الدرّية ١٢٦ ـ ١٢٨، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٣٨، ٢٣٩، تاريخ الخلفاء ٤٣٩، تاريخ ابن سباط ١/ ٨٧، ٨٨.

(٣) مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٠١.

إليه النقّابون فنقبوا السور، فاستسلم حينئذٍ مَن به من الفرنج، فملكه المسلمون وأخذوا كلّ مَن به من فارس وراجل وصبيّ وامرأة، وفيهم ابن الفُنش، وأخربوا الحصن وعادوا إلى سيف الدين. وكان مثَل ابن الفُنش كما قيل: خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بغير أذنَين[١].

ذكر الخلف بين السلطان مسعود وجماعة من الأمراء ووصولهم إلى بغداد وما كان منهم بالعراق

في هذه السنة فارق السلطان مسعوداً جماعة من أكابر الأمراء، وهم من أذْرَبيجان: إيلدكر[٢] المسعوديّ، صاحب كَنجَةَ وأرّانيّة، وقَيصر، ومن الجبل: البقش كون خر، وتَتر[٣] الحاجب، وهو من مماليك مسعود أيضاً، وطُرنطايّ[٤] المحموديّ، شِحنة واسط، والدّكز، وقَرْقُوب، وابن طُغايرك.

وكان سبب ذلك مَيْل السلطان إلى خاصّ بك واطّراحه لهم، فخافوا أن يفعل بهم مثل فعله بعبد الرحمن، وعبّاس، وبوزابة، ففارقوه وساروا نحو العراق، فلمّا بلغوا حُلوان خاف النّاس ببغداد وأعمال العراق، وغلت الأسعار، وتقدّم الإمام المقتفي لأمر الله بإصلاح السور وترميمه، وأرسل الخليفة إليهم بالعباديّ الواعظ، فلم يرجعوا إلى قوله، ووصلوا إلى بغداد في ربيع الآخر، والملك محمّد ابن السلطان محمود معهم، ونزلوا بالجانب الشرقي، وفارق مسعود بلال شِحنة بغداد البلد خوفاً من الخليفة، وسار إلى تَكْريت وكانت له، فعظُم الأمر على أهل بغداد، ووصل إليهم عليُّ بن دُبيس صاحب الحِلّة، فنزل بالجانب الغربيّ، فجنّد الخليفة أجناداً يحتمي بهم.

ووقع القتال بين الأمراء وبين عامّة بغداد ومَن بها من العسكر، واقتتلوا عدّة دفعات، ففي بعض الأيّام انهزم الأمراء الأعاجم من عامّة بغداد مكراً وخديعةً، وتبِعهم العامّة، فلمّا أبعدوا عادوا عليهم وصار بعض العسكر من ورائهم، ووضعوا السيف

---

(١) التاريخ الباهر ٨٨.
(٢) في طبعة صادر ١١/ ١٣٢ «إيلدكر» بالراء المهملة.
(٣) في نهاية الأرب ٢٧/ ٥٠ «تبر».
(٤) في (أ): «طرمطاي»، والمثبت يتفق مع: نهاية الأرب.

فقُتل من العامّة خلق كثيرَ، ولم يُبقوا على صغير ولا كبير، وفتكوا فيهم، فأصيب أهل بغداد بما لم يُصابوا بمثله، وكثُر القتلى والجرحى، وأُسر منهم خلق كثير، فقُتل البعض وشُهر البعض، ودفن النّاس مَن عرفوا، ومن لم يُعرف تُرك طريحاً بالصحراء، وتفرق العسكر في المحال الغربية، فأخذوا من أهلها الأموال الكثيرة، ونهبوا بلد دُجَيل[1] وغيره، وأخذوا النساء والولدان.

ثمّ إنّ الأمراء اجتمعوا ونزلوا مقابل التاج، وقبّلوا الأرض واعتذروا، وتردّدت الرسل بينهم وبين الخليفة إلى آخر النهار، وعادوا إلى خيامهم، ورحلوا إلى النّهروان، فنهبوا البلاد، وأفسدوا فيها، وعاد مسعود بلال شِحنة بغداد من تكريت إلى بغداد.

ثمّ إنّ هؤلاء الأمراء تفرّقوا وفارقوا العراق، وتوفّي الأمير قيصر بأذْرَبِيجان، هذا كلّه والسلطان مسعود مقيم ببلد الجبل، والرسل بينه وبين عمّه السلطان سنَجر متّصلةٌ؛ وكان السلطان سَنْجَر قد أرسل إليه يلومه على تقديم خاصّ بك، ويأمره بإبعاده، ويتهدّده بأنّه إن لم يفعل فسيقصده ويزيله عن السلطنة؛ وهو يغالط ولا يفعل، فسار السلطان سنجَر إلى الرّيّ، فلمّا علم السلطان مسعود بوصوله سار إليه وترضّاه، واستنزله عمّا في نفسه فسكن. وكان اجتماعهما سنة أربعٍ وأربعين [وخمسمائة] على ما نذكره إن شاء اللّه تعالى[2].

ذكر انهزام الفرنج بيَغرَى

في هذه السنة هزم نور الدين محمود بن زنكي الفرنج بمكان اسمه يَغرى[3] من أرض الشام، وكانوا قد تجمّعوا ليقصدوا أعمال حلب ليغيروا عليها، فعلم بهم، فسار إليهم في عسكره، فالتقوا بيغرى واقتتلوا قتالاً شديداً، وأجْلتِ المعركة عن انهزام الفرنج، وقُتل كثيرٌ منهم، وأُسر جماعة من مقدّميهم، ولم ينجُ من ذلك الجمع إلاّ

---

(١) في الباريسية، ورقم ٧٤٠ «دحيل».

(٢) المنتظم ١٠/ ١٣١ ـ١٣٣ (١٨/ ٦٤ ـ٦٦)، زبدة التواريخ ٢٢٥ ـ٢٢٨، نهاية الأرب ٢٧/ ٥٠، ٥١، تاريخ الإسلام (٥٤٣ هـ.) ص ١٥، ١٦، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٥١٤ ـ٥١٦.

(٣) في التاريخ الباهر ٩١ «بصرى»، ومثله في: الروضتين ١/ ١٤٤، والمثبت يتفق مع زبدة الحلب ٢/ ٢٩٢، وأصل التاريخ الباهر (الحاشية ٦)، ومفرّج الكروب ١/ ١١٥ وفيه: «بيغري»، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٠.

القليل؛ وأرسل من الغنيمة والأسارى إلى أخيه سيف الدين وإلى الخليفة ببغداد وإلى السلطان مسعود وغيرهم.

وفي هذه الوقعة يقول ابن القَيْسرانيّ في قصيدته التي أوّلها:

يـــا لَيــــتَ أنّ الصّـــدّ مصْـــدُودُ أوْ لا، فلَيــــتَ النَــــوْمَ[1] مَـــرْدُودُ

ومنها في ذِكر نور الدين:

وكيـــفَ لا نُثنـــي علـــى عَيشِنَـــا الـ ـمَحمـــودِ والسّلطـــانُ مَحمـــودُ
وَصـــارِمُ الإســـلامِ لا يَنْثَنـــي إلاّ وَشِلْـــوُ الكُفْـــرِ مَقْـــدُودُ
مَكـــارِمُ[2] لَـــمْ تَـــكُ مَـــوْجُـــودَةً إلاّ وَنُـــورُ الـــدّيـــنِ مَـــوْجُـــودُ
وكَـــمْ لَـــهُ مِـــنْ وَقعَـــةٍ يـــوْمُهـــا، عنـــدَ المُلـــوكِ الكُفـــر[3]، مَشْهُـــودُ[4]

ذكر مُلك الغُوريّة غَزْنَة وعَودهم عنها

في هذه السنة قصد سوري بن الحسين بن ملك الغُور مدينة غَزْنَةَ فملكها. وسبب ذلك أنّ أخاه ملك الغُوريّة [قبله محمّد بن الحسين كان قد صاهر بَهرام شاه مسعود بن]، ابراهيم، صاحب غَزْنة، وهو من بيت سُبُكْتِكين، فعظُم شأنه بالمصاهرة، وعَلَت همّته، فجمع جموعاً كثيرةً، وسار إلى غَزنة ليملكها، وقيل: إنّما سار إليها مُظهراً الخدمةَ والزيارة، وهو يريد المكر والغدر، فعلم به بَهرام شاه، فأخذه وسجنه، ثمّ قتله، فعظم قتله على الغُوريّة، ولم يمكنهم الأخذ بثأره.

ولما قُتل ملك بعده أخوه سام بن الحسين، فمات بالجُدَري؛ وملك بعده أخوه الملك سوري بن الحسين بلاد الغور، وقوي أمره، وتمكّن في ملكه، فجمع عسكره من الفارس والراجل وسار إلى غزنة طالباً بثأر أخيه المقتول، وقاصداً ملك غَزنة، فلمّا وصل إليها ملكها في جُمادى الأولى سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائة.

وفارقها بَهرام شاه إلى بلاد الهند، وجمع جموعاً كثيرة، وعاد إلى غَزْنة وعلى

---

(١) في التاريخ الباهر ٩٢ «اليوم».
(٢) في التاريخ الباهر والروضتين: «مناقب»، والمثبت يتفق مع: زبدة الحلب ٢/ ٢٩٣.
(٣) في التاريخ الباهر، والروضتين: «الشرك».
(٤) الأبيات في: التاريخ الباهر ٩٢، والروضتين ١/ ١٤٥، وزبدة الحلب ٢/ ٢٩٣، وصدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ١٠٧، ١٠٨، مفرّج الكروب ١/ ١١٤، ١١٥.

مقدّمته السلار الحسن بن إبراهيم العلوي أمير هِندوستان. وكان عسكر غَرنة، الذين أقاموا مع سوري بن الحسين الغُوري وخدموه، قلوبهم مع بَهرام شاه، وإنّما هم بظواهرهم مع سوري، فلمّا التقى سوري وبهرام شاه رجع عسكر غَزْنة إلى بهرام شاه، وصاروا معه وسلّموا إليه سوري ملك الغوريّة، وملك بهرام شاه غَزْنة في المحرّم سنة أربع وأربعين [وخمسمائة]، وصلب الملك سوري (مع)[1] السيّد الماهيانيّ في المحرّم أيضاً من السنة[2].

وكان سوري أحد الأجواد، له الكَرَم الغزير، والمروءة العظيمة، حتى إنّه كان يرمي الدراهم في المقاليع إلى الفقراء لتقع بيد مَن يتّفق له.

ثمّ عاود[3] الغُوريّة وملكوها، وخرّبوها، وقد ذكرناه[4] سنة سْبعٍ وأربعين [وخمسمائة]، وذكرنا هناك ابتداء دولة الغوريّة، لأنّهم في ذلك الوقت عظُمَ محلّهم، وفارقوا الجبال، وقصدوا خُراسان، وعلا شأنهم، وفي بعض الخُلْف كما ذكرناه، والله أعلم.

ذكر مُلك الفرنج مدناً من الأندلس

في هذه السنة ملك الفرنج بالأندلس مدينة طَرْطُوشَة، وملكوا معها جميع قلاعها، وحصون لارِدَةَ وأفراغةَ، ولم يبقَ للمسلمين في تلك الجهات شيء إلاّ واستولى الفرنج على جميعه[5] لاختلاف المسلمين بينهم، وبقي بأيديهم إلى الآن[6].

ذكر عدّة حوادث

[الوفيات]

في هذه السنة توفّي أبو بكر المبارك[7] بن الكامل بن أبي غالب البغدادي

(١) من (أ).
(٢) تاريخ الإسلام (٥٤٣ هـ.) ص ١٤.
(٣) في (ب): «عودوا».
(٤) في (أ).
(٥) في الأوربية: «جميعها».
(٦) المختصر في أخبار البشر ٣/٢٠، تاريخ ابن الوردي ٢/٤٨، تاريخ ابن سباط ١/٨٩.
(٧) أنظر عن (المبارك) في: تاريخ الإسلام (٥٤٣ هـ.) ص ١٦٧، ١٦٨ رقم ١٨٠ وفيه مصادر ترجمته.

المعروف أبوه بالخفّاف، سمع الحديث الكثير، وكان مفيد بغداد.

[ذكر عدّة حوادث]

وفيها غَلَت الأسعار بالعراق وتعذّرت الأقوات بسبب العسكر الوارد، وقدم أهل السواد إلى بغداد منهزمين قد أُخذت أموالهم، وهلكوا جوعاً وعُرياً؛ وكذلك أيضاً كان الغلاء في أكثر البلاد: خُراسان، وبلاد الجبل، وأصفهان، وديار فارس، والجزيرة، والشام، وأمّا المغرب فكان أشدّ غلاء بسبب انقطاع الغَيث، ودخول العدوّ إليها[١].

[الوفيات]

وفيها توفّي إبراهيم بن نَبهان[٢] الغنَوي الرَّقيّ، ومولده سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وصحِب الغزالي، والشاشيّ، وروى «الجمْع بين الصحيحين» للحُمَيديّ، عن مصنّفه.

وفيها، في ذي القعدة، توفّي الإمام أبو الفضل الكرمانيّ[٣]، الفقيه الحنفيّ إمام خُراسان.

---

(١) المنتظم ١٠/١٣٤ (١٨/٦٦)، المختصر في أخبار البشر ٣/٢٠، دول الإسلام ٢/٥٩، العبر ٤/١١٨، تاريخ الإسلام (٥٤٣ هـ.) ص ١٦، تاريخ ابن الوردي ٢/٤٨، تاريخ ابن سباط ١/٩٠.

(٢) أنظر عن (ابن نبهان) في: تاريخ الإسلام (٥٤٣ هـ.) ص ١٣٦، ١٣٧ رقم ١٣٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) هو: عبد الرحمن بن محمد بن أمبرويه. أنظر عنه في: تاريخ الإسلام (٥٤٣ هـ.) ص ١٥٠ رقم ١٥٥ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥٤٤)
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة

ذكر وفاة سيف الدين غازي بن أتابك زنكي
وبعض سيرته ومُلك أخيه قطب الدين

في هذه السنة توفّي سيف الدين غازي[١] بن أتابك زنكي صاحب الموصل بها بمرض حادّ، ولما اشتدّ مرضه أرسل إلى بغداد واستدعى أوحد الزمان، فحضر عنده، فرأى شدّة مرضه، فعالجه، فلم ينجع فيه الدواء، وتوفّي أواخر جُمادى الآخرة، وكانت ولايته ثلاث سنين وشهراً وعشرين يوماً؛ وكان حَسَن الصورة والشباب، وكانت ولادته سنة خمسمائة، ودُفن بالمدرسة التي بناها بالموصل، وخلّف ولداً ذكراً، فربّاه عمّه نور الدين محمود، وأحسن تربيته، وزوّجه ابنة أخيه قُطْب الدين مودود، فلم تطُل أيّامه، وتوفّي في عُنفوان[٢] شبابه، فانقرض عِقبه.

وكان كريماً شجاعاً عاقلاً، وكان يصنع كلّ يوم لعسكره طعاماً كثيراً مّرتين بُكرةً وعشيّةً فأمّا الذي بُكرةً فيكون مائة رأس غنم جيّدة، وهو أوّل مَن حُمل على رأسه السنجق، وأمر الأجناد ألاّ يركبوا إلا بالسيف في أوساطهم والدّبوس تحت رُكبَهم، فلمّا فعل ذلك اقتدى به أصحاب الأطراف؛ بنى المدرسة الأتابكيّة العتيقة بالموصل، وهي من أحسن المدارس، ووقفها[٣] على الفقهاء الحنفيّة والشافعيّة[٤]، وبنى رباطاً

---

(١) أنظر عن وفاة سيف الدين غازي في: تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ٢٠، ٢١ وقد حشدت فيه المصادر، وكذا في: تاريخ ابن سباط ١/ ٩٠.

(٢) في الأوربية: «عنوان».

(٣) في الأوربية: «وأوقفها».

(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٣، ٤.

للصوفيّة بالموصل أيضاً على باب المَشرَعة، ولم تطُل أيّامه ليفعل ما في نفسه من الخير، وكان عظيم الهمّة، ومن جملة كرمه أنّه قصده شهاب الدين الحِيصُ بِيصُ، وامتدحه بقصيدته التي أوّلها:

إلامَ يـراكَ المَجـدُ فـي زيّ شـاعـرٍ وَقـد نحلـتْ شـوْقـاً فُـروعُ المَنـابـرِ

فوصله بألف دينار عيناً سوى الخِلع وغيرها.

ولما توفّي سيف الدين غازي كان أخوه قُطب الدين مقيماً بالموصل، فاتّفق جمـال الـديـن الـوزيـر وزيـن الـديـن علـيّ أميـر الجيـش علـى تمليكـه، فـأحضـروه، واستحلفوه، وحلفوا له،وأركبوه إلى دار السلطنة، وزين الدين في رِكابه، وأطاعه جميع بلاد أخيه سيف الدين كالموصل، والجزيرة، والشّام.

ولما ملك تزوّج الخاتون ابنة حُسام الدين تِمِرتاش التي كان قد تزوّجها أخوه سيف الدين وتوفّي قبل الدخول بها، وهي أمّ أولاد[1] قُطب الدين: سيف الدين، وعزّ الدين وغيرهما من أولاده[2].

ذكر استيلاء نور الدين على سِنجار

لما ملك قُطب الدين مودود الموصل بعد أخيه سيف الدين غازي كان أخوه الأكبر نور الدين محمود بالشام، وله حلب وحماة، فكاتبه جماعة من الأمراء وطلبوه، وفيمَن كاتبه المقدّم عبد الملك والد شمس الدين محمّد، وكان حينئذٍ مستحفظاً بسِنجار، فأرسل إليه يستدعيه ليتسلّم سِنجار، فسار جريدةً في سبعين فارساً من أمراء دولته، فوصل إلى ماكِسين في نفرٍ يسير قد سبق أصحابه.

وكان يوماً شديد المطر، فلم يعرفهم الذي يحفظ الباب، فأخبر الشّحنة[3] أنّ نفراً من التركُمان المتجنّدين قد دخلوا البلد، فلم يستتمّ كلامه حتى دخل نور الدين الدار على الشِحنة، فقام إليه وقبّل يده، ولحِق به باقي أصحابه، ثمّ سار إلى سِنجار،

---

(١) في (أ): «أولاده».

(٢) في (ب) «سيف الدين وغيرهما من أولاده». والخبر في: المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢١، والتاريخ الباهر ٩٤، والروضتين ١/ ١٧٠، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٠٤.

(٣) في الأوربية: «الشحنة».

فوصلها وليس معه غير ركابيّ وسلاح دار، ونزل بظاهر البلد.

وأرسل إلى المقدّم يُعْلِمه بوصوله، فرآه الرسول وقد سار إلى الموصل، وترك ولده شمس الدين محمّداً بالقلعة، فأعلمه بمسير والده إلى الموصل، وأقام من لحِق أباه بالطريق، فأعلمه بوصول نور الدين، فعاد إلى سِنجار فسلّمها إليه، فدخلها نور الدين، وأرسل إلى فخر الدين قُرا أرسلان، صاحب الحصن، يستدعيه إليه لمودّةٍ كانت بينهما، فوصل إليه في عسكره؛ فلمّا سمع أتابك قُطب الدين، وجمال الدين، وزين الدين بالموصل بذلك جمعوا عساكرهم وساروا نحو سِنجار، فوصلوا إلى تلّ يَعْفَر، وتردّدت الرسل بينهم بعد أن كانوا عازمين على قصده بسِنجار، فقال لهم جمال الدين: ليس من الرأي مُحاقتُه[1] وقتاله، فإنّنا نحن قد عظّمنا محلّه عند السلطان وما هو بصدده من الغزاة، وجعلنا أنفسنا دونه، وهو يُظهر للفرنج تعظيماً[2] وأنّه تبعنا؛ ولا يزال يقول لهم: إن كنتم كما يجب، وإلاّ سلّمتُ البلاد إلى صاحب الموصل، وحينئذٍ يفعل بكم ويصنع، فإذا لقيناه[3]، فإنْ هزمناه طمع السلطان فينا، ويقول: هذا الذي كانوا يعظّمونه ويحتمون به أضعف منهم، وقد هزموه؛ وإنْ هو هزمنا طمع فيه الفرنج، ويقولون إنّ الذين كان يحتمي بهم أضعف منه، وقد هزمهم، وبالجملة فهو ابن أتابك الكبير.

وأشار بالصلح، وسار هو إليه فاصطلح، وسلّم سِنجار إلى أخيه قُطْب الدين، وسلّم مدينة حِمص والرّحبة بأرض الشام وبقي الشام له، وديار الجزيرة لأخيه، واتّفقا، وعاد نور الدين إلى الشام، وأخذ معه ما كان قد ادّخره أبوه أتابك الشهيد فيها من الخزائن، وكانت كثيرة جدّاً[4].

ذكر وفاة الحافظ وولاية الظافر [ووزارة][5] ابن السلار

في هذه السنة، في جُمادى الآخرة، توفّي الحافظ لدين[6] اللّه عبد المجيد ابن

(١) في الأوربية: «محاقتته».
(٢) في الأوربية: «فيظهر للفرنج تعظيمنا».
(٣) قي الأوربية: «ألقيناه».
(٤) التاريخ الباهر ٩٥، ٩٦، الروضتين ١/ ١٧٢ ـ ١٧٤.
(٥) من الباريسية.
(٦) في الأوربية: «الدين».

الأمير أبي القاسم بن المستنصر بالله العلويّ، صاحب مصر[1]. وكانت خلافته عشرين سنة إلاّ خمسة أشهر، وعمره نحو من سبْع وسبعين سنة، ولم يزل في جميعها محكوماً عليه، يحكم عليه وزراؤه، حتى إنّه جعلَ ابنه حسناً وزيراً ووليّ عهده، فحكم عليه واستبدّ بالأمر دونه، وقتل كثيراً من أمراء دولته، وصادر كثيراً، فلمّا رأى الحافظ ذلك سقاه سُمّاً فمات، وقد ذكرناه.

ولم يلِ الأمر من العلويّين المصريّين مَن أبوه غير خليفة غير الحافظ العاضد، وسيرِد ذِكر نسب العاضد[2]، ووليَ الخلافة بعده بمصر ابنه الظافر بأمر الله أبو منصور إسماعيل بن عبد المجيد الحافظ، واستوزر ابن مَصّال، فبقي أربعين يوماً يدبّر الأمور، فقصده العادل بن السلاّر من ثغر الإسكندريّة، ونازعه في الوزارة، وكان ابن مَصّال قد خرج من القاهرة في طلب بعض المفسدين من السودان، فخلفه العادل بالقاهرة وصار وزيراً[3].

وسيّر عبّاس بن أبي الفُتُوح بن يحيَى بن تميم بن المُعزّ بن باديس الصّنهاجيّ في عسكر وهو ربيب العادل، إلى ابن مَصّال، فظفر به وقتله، وعاد إلى القاهرة، واستقرّ العادل وتمكّن، ولم يكن للخليفة معه حكم.

وأمّا سبب وصول عبّاس إلى مصر، فإنّ جدّه يحيَى أخرج أباه أبا الفتوح من المهَديّة، فلمّا توفّي يحيَى ووليَ بعده بلاد إفريقية ابنه عليُّ بن يحيىَ بن تميم [بن يحيَى صاحب] إفريقية، أخرج أخاه أبا الفتوح بن يحيى والد عبّاس من إفريقية سنة تسع وخمسمائة، فسار إلى الديار المصريّة ومعه زوجته بلاّرة ابنة القاسم بن تميم بن المُعَزّ بن باديس، وولده عبّاس هذا وهو صغير يرضع؛ ونزل أبو الفتوح بالإسكندرية فأُكرم، وأقام بها مدة يسيرة، وتوفي وتزوجت بعده امرأته بلاّرة بالعادل بن السلاّر.

وشبّ العبّاس، وتقدّم عند الحافظ، حتى وليَ الوزارة بعد العادل؛ فإنّ العادل قُتل في المحرم سنة ثمانٍ وأربعين [وخمسمائة]. قيل: وضع عليه عبّاس مَن قتله،

---

(١) أنظر عن (الحافظ الفاطمي) في: تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ١٩٣ ـ ١٩٥ رقم ٢٢٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته، وكذا في: تاريخ ابن سباط ١/ ٩١.

(٢) في الأوربية: «العاضد».

(٣) في الباريسية ورقم ٧٤٠ «وزيره».

فلمّا قُتل وليَ الوزارة بعده، وتمكّن فيها، وكان جَلداً حازماً، ومع هذا ففي أيّامه أخذ الفرنج عَسقَلان، واشتدّ وهَن الدولة بذلك؛ وفي أيّامه أخذ نور الدين محمود دمشق من مُجِير الدين أَبَق، وصار الأمر بعد هذا إلى أن أخِذت مصر منهم، على ما نذكره بعد إن شاء اللّه تعالى[١].

ذكر عَود جماعة من الأمراء إلى العراق

في هذه السنة، في رجب، عاد البَقش كُون خَر، والطُرنطاي، وابن دُبيس، ومعهم مَلِكشاه ابن السلطان محمود إلى العراق، وراسلوا الخليفة في الخُطبة لملكشاه، فلم يلتفت إليهم، وجمع العساكر، وحصّن بغداد، وأرسل إلى السلطان مسعود يعرّفه الحال، فوعده بالوصول إلى بغداد، فلم يحضر.

وكان سبب ذلك ما ذكرناه من وصول عمّه السلطان سنَجَر إلى الريّ في معنى خاصّ بك، فلمّا وصل إلى الريّ سار إليه السلطان مسعود، ولقيه واسترضاه، فرضي عنه؛ فلمّا علم البقش بمراسلة الخليفة إلى مسعود نهب النّهروان، وقبض على الأمير عليّ بن دُبيس في رمضان، فلمّا علم الطرنطايّ بذلك هرب إلى النّعمانيّة.

ووصل السلطان مسعود إلى بغداد منتصف شوّال، ورحل البقش كُون خَر من النّهروان، وأطلق عليّ بن دُبيس، فلمّا وصل السلطان إلى بغداد قصده عليّ، وألقى بنفسه بين يديه واعتذر، فرضي عنه[٢].

وذكر[٣] بعض المؤرّخين هذه الحادثة سنة أربع وأربعين، وذكر أيضاً مثلها سنة ثلاث وأربعين [وخمسمائة]، فظنّها حادثتَين، وأنا أظنّها واحدة ولكنّا تبعناه في ذلك ونبّهنا عليه.

ذكر قتل البرنس صاحب أنطاكِية وهزيمة الفرنج

في هذه السنة غزا نور الدين محمود بن زنكي بلاد الفرنج من ناحية أنطاكية،

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢١، ٢٢.

(٢) المنتظم ١٠/ ١٣٧، ١٣٨، (١٨/ ٧١، ٧٢)، تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ٢٠، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٥، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٥١٦.

(٣) من هنا إلى نهاية الفقرة من الأصل.

وقصد حصن حارِم، وهو للفرنج، فحصره وخرّب رَبَضه، ونهب سواده، ثمّ رحل إلى حصن إنّب[1] فحصره أيضاً، فاجتمعت الفرنج مع البرِنْس صاحب أنطاكية وحارِم وتلك الأعمال، وساروا إلى نور الدين ليرحّلوه عن إنّب[1] فلقِيهم واقتتلوا قتالاً عظيماً.

وباشر نور الدين القتال ذلك اليوم، فانهزم الفرنج أقبح هزيمة، وقُتل منهم جمْعٌ كثير، وأُسِرَ[2] مثلهم.

وكان ممّن قُتل البرنس صاحب أنطاكية، وكان عاتياً من عُتاة الفرنج، وعظيماً من عُظمائهم، ولما قُتل البرنْس ملك بعده ابنه بيمُنْد، وهو طفل، فتزوّجت أُمّه ببرِنسٍ[3] آخر ليدبّر البلد إلى أن يكبر ابنها، وأقام معها بأنطاكية[4].

ثمّ إنّ نور الدين غزاهم غزوة أخرى، فاجتمعوا ولقوه، فهزمهم وقتل فيهم وأسر، وكان فيمن أُسر البرنس الثاني زوج أمِّ بيمُنْد، فتمكّن حينئذٍ بيمُنْد بأنطاكية؛ وأكثر الشعراء مديح نور الدين وتهنئته بهذا الظَفَر، فإنّ قتل البرِنْس كان عظيماً عند الطائفتين؛ وممّن قال فيه القَيْسرانيّ في قصيدته المشهورة التي أوّلها:

هذي العزائمُ لا ما تَدّعي القُضُبُ ... وذي المكارِمُ لا ما قالَتِ الكُتُبُ
وَهذه الهِممُ اللاّتي متى خُطبَتْ ... تَعَثّرَتْ خلفَها الأشعارُ وَالخُطَبُ
صَافحتَ يا ابنَ عمادِ الدّينِ ذرْوَتَها ... بـراحَـةٍ للمَسـاعـي دونَهـا تَعَـبُ
مـا زالَ جَـدُّكَ يَبني كُـلَّ شـاهِقَـةٍ ... حتـى بنى قُبَـةً أوْتـادُهـا الشُّهُـبُ

---

(١) في (أ): «أنت»، وفي (ب): «أنب».
(٢) في الأوربية: «وأسروا».
(٣) في الأوربية: «بابرنس».
(٤) ذيل تاريخ دمشق ٣٠٤، ٣٠٥، المنتظم ١٠/١٣٧ (١٨/٧١)، التاريخ الباهر ٩٨،٩٩، تاريخ دولة آل سلجوق ٢٠٧، زبدة الحلب ٢/٢٩٨،٢٩٩، تاريخ مختصر الدول ٢٠٧، تاريخ الزمان ١٦٤، الروضتين ١٠/١٥٠، ١٥٩، ديوان ابن منير الطرابلسي (جمعنا) ٢٤٢،٢٩٢ نهاية الأرب ٢٧، ١٥٥ المختصر في أخبار البشر ٣/٢٦، الدرّة المضية ٥٥٤، دول الإسلام ٢/٥٩، العبر ٤/١٢٠،١٢١ تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ١٨، عيون التواريخ ١٢/٤٢١، البداية والنهاية ١٢/٢٢٥، تاريخ ابن الوردي ٢/٤٨،٤٩، الكواكب الدرية ١٣٠، تاريخ ابن خلدون ٥/٢٤٠، تاريخ ابن سباط ١/٩١،٩٢.

أغْرَتْ[1] سيوفُكَ بالإفرَنجِ راجفةً ... فـؤادُ رُوميـةَ الكُبـرَى لهـا يَجِـبُ
ضـربـتَ كبشَهـمُ منهـا بقـاصِمَـةٍ ... أوْدى بها الصّلبُ وَانحطّتْ بها الصُّلبُ
طهّرْتَ أرْضَ الأعادي من دمائهم ... طهارَةً كلُّ سيفٍ عندها جُنُبُ[2]

ذكر الخُلْف بين صاحب صَقَلّية وملك الروم

في هذه السنة اختلف رُجّار الفرنجيّ صاحب صَقَلّية وملك القسطنطينيّة، وجرى بينهما حروب كثيرة دامت عّدة سنين، فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين، ولولا ذلك لملك رُجّار جميع بلاد إفريقية.

وكان القتال بينهم برّاً وبحراً، والظفر في جميع ذلك لصاحب صَقَلّية، حتى إنّ أسطوله، في بعض السنين، وصل إلى مدينة القسطنطينيّة، ودخل فمَ الميناء، وأخذوا عدّة شَوَانِ من الروم، وأسروا جمعاً منهم؛ ورمَى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشّاب، وكان الذي يفعل هذا بالروم والمسلمين جُرجي وزير صاحب صَقَلّية، فمرض عدّة أمراض منها البواسير والحصا، ومات سنة ستٍّ وأربعين وخمسمائة، فسكنت الفتنة، واستراح النّاس من شرّه وفساده، ولم يكن عند صاحب صَقلّية مَن يقوم مقامه بعده[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة زُلزلت الأرض زلزلة عظيمة، فقيل إن جبلاً مقابل حُلوان ساخ في الأرض[4].

وفيها وليَ أبو المظفّر يحيَى بن هُبيرة وزارة الخليفة المقتفي لأمر اللّه، وكان قبل

---

(١) في (ب): «أعزت». والمثبت من الأصل و(أ).

(٢) الروضتين ١/ ١٥٢، ١٥٣، التاريخ الباهر ٩٩، صدى الغزو الصليبي ١١٠، ١١١.

(٣) دول الإسلام ٢/ ٦٠، تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ٢١.

وورد الخبر في نسخة (أ) على هذا النحو «في هذه السنة وقع بين صاحب صقلية الفرنجي وبين ملك القسطنطينية حرب ودامت، واشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين وكان القتال براً وبحراً، وقد تقدم ذكر ذلك. وفيها زلزلت».

(٤) المنتظم ١٠/ ١٣٨ (١٨/ ٧٢)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٠١، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٢، تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ٢٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٩، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٥، الكواكب الدرّية ١٣١، كشف الصلصلة ١٨٤، تاريخ ابن سباط ١/ ٩٢.

ذلك صاحب ديوان الزمام، وظهر له كفاية عظيمة عند نزول العساكر بظاهر بغداد، وحُسنُ قيام في ردّهم، فرغب الخليفة فيه، فاستوزره يوم الأربعاء رابع ربيع الآخر سنة أربع وأربعين [وخمسمائة]، وكان القمر على تربيع زُحل[١]، فقيل له: لو أخّرْتَ لُبس الخِلَعة لهذه التربيعات؟ فقال: وأيّ سعادة أكبر من وزارة الخليفة؟ ولبسها ذلك اليوم[٢].

[الوفيات]

وفيها، في المحرّم، توفّي قاضي القضاة عليُّ بن الحسين الزينبيّ[٣]، ووليَ القضاء عماد الذين أبو الحسن عليُّ بن أحمد الدامغاني.

وفيها، في المحرّم، رَخُصَت الأسعار بالعراق، وكثُرت الخيرات، وخرج أهل السواد إلى قُراهم[٤].

وفيها توفّي الأمير نَظَر[٥] أمير الحاجّ، وكان قد سار بالحاجّ إلى الحِلّة، فمرض واشتدّ مرضه، واستخلف على الحاجّ قايماز الأرجوانيّ، وعاد إلى بغداد مريضاً، فتوفّي في ذي القعدة، وكان خصِيّاً عاقلاً خيّراً، له معروف كثير، وصدقات وافرة.

وفيها توفّي أحمد بن نظام المُلك[٦] الذي كان وزير السلطان محمّد والمسترشد بالله.

وفيها توفّي عليُّ بن رافع بن خليفة الشيبانيّ، وهو من أعيان خُراسان، وله مائة وسبع سنين شمسيّة.

---

(١) في بعض النسخ: «زجل».

(٢) المنتظم ١٠/١٣٧ (١٨/٧١)، المختصر في أخبار البشر ٣/٢٢، العبر ٤/١٢١، تاريخ الإسلام ٢/١٩، زبدة التواريخ ٢٢٦، البداية والنهاية ١٢/٢٢٥، الجوهر الثمين ١/٢٠٨، وفيات الأعيان، رقم ٢٤٥، تاريخ ابن الوردي ٢/١٦٨، ١٦٩، تاريخ ابن خلدون ٣/٥١٦، عيون التواريخ ١٢/٤٢١، الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٢٥، الفخري ٣١٢، مختصر التاريخ ٢٣١.

(٣) أنظر عن (الزينبي) في: تاريخ الإسلام (٥٤٣ هـ.) ص ١٥٣ ـ١٥٥ رقم ١٦٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) المنتظم ١٠/١٣٧ (١٨/٧١)، تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ١٨.

(٥) أنظر عن الأمير نظر في: المنتظم ١٠/١٣٨ (١٨/٧٢)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/٢٠٠، ٢٠١ (حوادث ٥٤٣ هـ. و٥٤٤ هـ.)، تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ٢٠، البداية والنهاية ١٢/٢٢٦.

(٦) أنظر عن (ابن نظام الملك) في: تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ١٧٣ رقم ١٨٨ وفيه مصادر ترجمته.

وفيها توفّي معين الدين أُنُر[١] نائب أبق صاحب دمشق، وهو كان الحاكم والأمر إليه، وكان أبق صورة أمير لا معنى تحتها.

وفيها توفّي القاضي أحمد بن محمّد بن الحسين الأَرَّجاني[٢] أبو بكر قاضي تُستَر، وله شِعر حَسَن، فمنه قوله:

ولمـا بلـوتُ النّـاسَ أطلُـبُ عنـدَهـم | أخـا ثِقَـةٍ عنـدَ اعتـراضِ الشّـدائـدِ
تطلّعـتُ فـي حـالَـيْ رَخـاءٍ وشِـدّةٍ | وناديتُ في الأحياء: هل من مساعدِ؟
فلَـم أرَ فيمـا سـاءنـي غيـرَ شـامِـتٍ | وَلـم أرَ فيمـا سَـرّنـي غَيـرَ حَـاسِـدِ
تَمَتّعتُمـا[٣] يـا نـاظِـرَيّ بنَظْـرَةٍ | وَأورَدْتُمـا قَلبـي أمَـرّ[٤] المَـوارِدِ
أَعَيْنَـيّ كُفّـا عَـن فُـؤآدي فـإنّـه | منَ البغيِ سَعْيُ اثنَينِ في قتلِ واحدِ[٥]

وفيها توفّي أبو عبد اللّه عيسى بن هِبة اللّه[٦] بن عيسى البَزّاز، وكان ظريفاً، وله شِعرٌ حَسَنٌ؛ كتب إليه صديقٌ له رُقعةً وزاد في خطابه فأجابه:

قـد زِدْتَني فـي الخِطـابِ[٧] حتى | خَشيـتُ نَقصـاً مـنَ الـزّيـادَهْ
فـاجعـلْ خطـابـي خطـابَ مثْلـي | وَلا تُغَيّـرْ علـيّ عـادَهْ[٨]

---

(١) أنظر عن (أنر) في: تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ١٨٥ ـ١٨٦ رقم ٢٠١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) أنظر عن (الأرّجاني) في: تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ١٧٦ ـ١٨٢ رقم ١٩٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) في تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ١٧٨ «مُتّعْتُما».

(٤) في تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ١٧٨ «أشرّ».

(٥) ديوان الأرّجاني، المنتظم ١٠/ ١٣٩ (١٨/ ٧٣، ٧٤)، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٢، تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ١٧٨، عيون التواريخ ١٢/ ٤٢٤، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٧، الوافي بالوفيات ٧/ ٣٧٨، معاهد التنصيص ٣/ ٤٥.

(٦) أنظر عن (ابن هبة الله) في: تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ٢٠١، ٢٠٢ رقم ٢٢٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) في تاريخ الإسلام ٢٠٢ «خطب».

(٨) البيتان في: المنتظم ١٠/ ١٤١ (١٨/ ٧٥)، وتاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ٢٠٢، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٥، وفوات الوفيات ٢/ ٢٣١، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٢٧.

(٥٤٥)
ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة

ذكر أخْذ العرب الحُجّاج

في هذه السنة، رابع عشر المحرّم، خرج العرب، زَغْبٌ ومن انضمّ إليها، على الحُجّاج بالغرابيّ، بين مكّة والمدينة، فأخذوهم ولم يسلم منهم إلاّ القليل.

وكان سبب ذلك أنّ نَظَر أمير الحاجّ [لما عاد من الحِلّة على ما ذكرناه وسار على الحاجّ][١] قايماز الأرجوانيّ، وكان حدثاً غِرّاً، سار بهم إلى مكّة، فلمّا رأى أميرُ مكّة قايمازَ استصغره، وطمع في الحاجّ، وتلطّف قايماز الحال معه إلى أن عادوا.

فلمّا سار عن مكّة سمع باجتماع العرب، فقال للحاجّ: المصلحة أنّا لا نمضي إلى المدينة؛ وضجّ العجم، وتهدّدوه بالشكوى منه إلى السلطان سَنْجَر، فقال لهم: فأعطوا العربَ مالاً نستكفّ به شرَّهم! فامتنعوا من ذلك، فسار بهم إلى الغرابيّ، وهو منزل يخرج إليه من مضيق بين جبلين، فوقفوا على فم مضيق، وقاتلهم قايماز ومَن معه، فلمّا رأى عجْزه أخذ لنفسه أماناً، وظفروا بالحجّاج، وغنموا أموالهم وجميع ما معهم، وتفرّق النّاس في البرّ، وهلك منهم خلق كثير لا يُحْصَوْن كَثرة، ولم يسلَم إلاّ القليل، فوصل بعضهم إلى المدينة، وتحمّلوا منها إلى البلاد، وأقام بعضهم مع العرب حتى توصّل إلى البلاد.

ثمّ إنّ اللّه تعالى انتصر للحاجّ من زغْب، فلم يزالوا في نقصٍ وذلّة، ولقد رأيتُ شابّاً منهم بالمدينة سنة ستٍّ وسبعين وخمسمائة، وجرى بيني وبينه مفاوضة قلتُ له فيها: إنّني واللّه كنتُ أميل إليك حتى سمعتُ أنّك من زَغْب، فنفرتُ وخفتُ شرّك.

---

(١) في الباريسية، ورقم ٧٤٠.

فقال: ولِمَ؟ فقلتُ: بسبب أخذكم الحاجّ. فقال لي: أنا لم أدرك ذلك الوقت، وكيف رأيت اللّه صنع بنا؟ واللّه ما أفلحنا، ولا نجحنا، قلّ العددُ وطمع العدوّ فينا[١].

ذكر فتح حصن فاميا

في هذه السنة فتح نور الدين محمود ابن الشهيد زنكي حصن فاميا من الفرنج، وهو مجاور شَيْزَرَ وحماة، على تلّ عالٍ من أحصن القلاع وأمنعها، فسار نور الدين إليه وحصره وبه الفرنج، وقاتلهم وضيّق على مَن به منهم، فاجتمع مَن بالشام من الفرنج، وساروا نحوه ليرحّلوه عنهم، فلم يصلوا إلاّ وقد ملكه، وملأه ذخائر وسلاحاً ورجالاً وجميع ما يحتاج إليه، فلمّا بلغه مسير الفرنج إليه رحل عنه وقد فرغ من أمر الحسن، وسار إليهم يطلبهم، فحين رأوا أنّ الحصن قد مُلك وقوةَ عزم نور الدين على لقائهم عدلوا عن طريقه، ودخلوا بلادهم، وراسلوه في المهادنة، وعاد سالماً مظفّراً.

ومدحه الشعراء وذكروا هذا الفتح، فمن ذلك قول ابن منير[٢] من قصيدة أوّلها:

أَسْنى الممالك ما أَطَلْتَ مَنارَها ... وَجعَلتَ مُرْهَفَةَ الدِّسارِ[٣] دِسارَها
وأحَـقُّ مَـنْ مَلَـكَ البـلادَ وأهلَهـا ... رَؤفٌ تكَنّـفَ عَـدلُـهُ أقطـارَهـا

ومنها في وصف الحصن:

أدَركتَ ثأرَكَ في البُغاةِ، وكنتَ يا ... مُختـارَ أمّـةِ أحمَـدٍ مُخْتـارَهَـا
طابتْ[٤] نجومُكَ فَوْقَها، وَلربما ... بـاتَـتْ تنافثُهـا النّجُـومُ سِـرَارَهَـا
عـارِيَـةُ الـزّمَـنِ المُعيـرِ شِمـالُهـا ... منكَ المُعيرَةُ وَاستَرَدّ مُعارَهَا[٥]

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ٣١٠، الروضتين ١/ ٣١٠، مرآة الزمان ج٨ ق ١/ ٢٠٦، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٢، العبر ٤/ ١٢٣، دول الإسلام ٢/ ٦١، تاريخ الإسلام (٥٤٤ هـ.) ص ٢٥، تاريخ دولة آل سلجوق ٢٠٧، مرآة الجنان ٣/ ٢٨٤(حوادث ٥٤٥ هـ.)، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٦، عيون التواريخ ١٢/ ٤٣٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٠.

(٢) في طبعة صادر ١١/ ١٤٩ «ابن الرومي» وهو غلط.

(٣) في المصادر: «الشغار».

(٤) في التاريخ الباهر: «صارت»، وفي المصادر: «ضاءت».

(٥) في الديوان ٢١٦:

عـاريـة الـزمـن المغيـر، سمـا لهـا ... منـك المعيّـر فـاستـردّ معـارهـا

أمستْ معَ الشِّعَرى العَبورِ وَأصبَحتْ شَعْـراءَ تَستَغلـي الفحـولُ شِـوَارَهَـا

وهي طويلة[١].

ذكر حصر قُرْطُبَة ورحيلهم عنها

في هذه السنة سار السُّلَيطين، وهو الأذفونش، وهو ملك طُلَيطُلة وأعمالِها، وهو من ملوك الجلالقة، نوع من الفرنج، في أربعين ألف فارس إلى مدينة قرْطُبة، فحصرها، وهي في ضعف وغلاء، فبلغ الخبر إلى عبد المؤمن وهو بمَرّاكُش، فجهّز عسكراً كثيراً، وجعل مقدّمهم أبا زكريّاء يحيَى بن يَرموزَ ونفّذهم إلى قُرطُبة، فلمّا قربوا منها لم يقدروا أن يلقوا عسكر السُّلَيطين في الوطاء، وأرادوا الاجتماع بأهل قُرطُبة ليمنعوها لخطر العاقبة بعد القتال، فسلكوا الجبال الوعرة، والمضايق المتشعبّة، فساروا نحو خمسة وعشرين يوماً في الوعر في مسافة أربعة أيّام في السهل، فوصلوا إلى جبل مطلّ على قُرطُبة، فلمّا رآهم السُّلَيطين وتحقّق أمرهم رحل عن قُرطُبة.

وكان [فيها][٢] القائد أبو الغَمر[٣] السائب من ولد القائد ابن غَلْبُون، وهو من أبطال أهل الأندلس وأمرائها، فلمّا رحل الفرنج خرج منها لوقته وصعد إلى ابن يرموز[٤]، وقال له: انزلوا عاجلاً وادخلوا البلد؛ ففعلوا، وباتوا فيها، فلمّا أصبحوا من الغد رأوا عسكر السُّلَيطين على رأس الجبل الذي كان فيه عسكر عبد المؤمن، فقال لهم أبو الغمر[٥]: هذا الذي خفتُه عليكم لأنّي علمتُ أنّ السُّلَيطين ما أقلع إلاّ طالباً لكم، فإنّ من الموضع الذي كان فيه إلى الجبل طريقاً سهلة، ولو لحِقكم هناك لنال مراده منكم ومن قُرطُبة؛ فلمّا رأى السّليطين أنّهم قد فاتوه علم أنّه لم يبقَ له طمع في قُرطُبة؛ فرحل عائداً إلى بلاده، وكان حصره لقُرطُبة ثلاثة أشهر[٦]، واللّه أعلم.

---

(١) ديوان١ منير (من جمعنا) ٢١٥ ـ ٢١٨، التاريخ الباهر ١٠١، الروضتين ١/ ١٦٠ ـ ١٦٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٠.

(٢) من الباريسية ورقم ٧٤٠

(٣) في نسخة رقم ٧٤٠ «المعمر»، وفي الباريسية: «العم».

(٤) في (أ): «ابن يومرت» وفي (ب): «ابن يومور».

(٥) في النسخة ٧٤٠ «المعمر»، وفي الباريسية: «العم».

(٦) المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٢، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٠، تاريخ ابن سباط ١/ ٩٣، تاريخ الإسلام (٥٤٥ هـ.) ص ٢٨.

ذكر مُلك الغُوريّة هَرَاة

في هذه السنة سار ملك الغُور الحسَن بن الحسين من بلاد الغُور إلى هَرَاة فحصرها، وكان أهلها قد كاتبوه، وطلبوا أن يسلّموا البلد إليه هرباً من ظلم الأتراك لهم، وزوال هيبة السلطنة عنهم، فامتنع أهل هَرَاة عليه ثلاثة أيّام، ثمّ خرجوا إليه وسلّموا البلد وأطاعوه، فأحسن إليهم، وأفاض عليهم النِّعم، وغمرهم بالعدل، وأظهر طاعة السلطان سَنْجَر، والقِيام على الوفاء له، والانقياد إليه.

ذكر عّدة حوادث

في هذه السنة أمر علاء الدين محمود بن مسعود، الغالب على أمر طُرَيْثيث التي بيد الإسماعيلية، بإقامة الخطبة للخليفة، ولبس السواد، ففعل الخطيب ذلك، فثار به عمّه وأقاربه ومَن وافقهم، وقاتلوه، وكسروا المنبر وقتلوا الخطيب.

وكان فعل علاء الدين هذا لأنّ أباه كان مسلماً، فلمّا تغلب الإسماعيليّة على طُرَيْثيث أظهر موافقتهم، وأبطن اعتقاد الشريعة، وكان يناظر على مذهب الشافعيّ، وازداد تقدّماً بطُرَيْثيث، وجرت أمورُها بإرادته؛ فلمّا حضره الموت أوصى أن يغسّله فقيه شافعيّ، وأوصى إلى ابنه علاء الدين، إن أمكنه أن يعيد فيها إظهار شريعة الإسلام فعل. فلمّا رأى من نفسه قوّةً فعله فلم يتمّ له.

وفيها كثُر المرض بالعراق لا سيّما ببغداد، وكثُر الموت أيضاً فيها، ففارقها السلطان مسعود.

وفيها توفّي الأمير عليُّ بن دُبيس[1] بن صَدَقة صاحب الحِلّة بأسداباد[2]، واتُّهم طبيبه محمّد بن صالح بالمواطأة عليه، فمات الطبيب بعده بقريب.

وفيها[3] استوزر عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب أبا جعفر بن أبي أحمد الأندلسي، وكان مأسوراً عنده، فوُصف له بالعقل وجودة الكتابة، فأخرجه من الحبس واستوزره، وهو أوّل وزيرٍ كان للموحّدين.

---

(١) أنظر عن (ابن دبيس) في: تاريخ الإسلام (٥٤٥ هـ.) ص ٢٢٧ رقم ٢٨١ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) في الباريسية والنسخة ٧٤٠ «بسداباد».

(٣) في بعض النسخ: «فيها للموحدين».

وفي هذه السنة، في المحرّم، جلس يوسف الدمشقي مدرّساً في النظاميّة ببغداد، وكان جلوسه بغير أمر الخليفة، فمنُع، يوم الجمعة، من دخول الجامع، فصلّى في جامع السلطان، ومُنع من التدريس، فتقدّم السلطان مسعود إلى الشيخ أبي النجيب بأن يدّرس فيها، فامتنع بغير أمر الخليفة، فاستخرج السلطان إذْن الخليفة في ذلك، فدرّس منتصف المحرّم من السنة[١].

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو عبد اللّه محمّد بن عليّ مُهران[٢] الفقيه الشافعيّ، تفقّه على الهرّاسيّ، ووليَ قضاء نَصيبين، ثمّ ترك القضاء وتزهّد، فأقام بجزيرة ابن عمر، ثمّ انتقل إلى جبل ببلد الحصن، في زاوية[٣]، وكان له كرامات ظاهرة.

وفيها مات الحسن بن ذي النون[٤] بن أبي القاسم بن أبي الحسن الشُغْريّ[٥] أبو المفاخر النّيسابوري، سمع الحديث الكثير، وكان فقيهاً أديباً دائم الأشغال يعظ النّاس، وكان ممّا ينشد:

مـاتَ الكرامُ وَوَلّـوا[٦] وانقضَـوْا ومضَـوْا ... ومـاتَ مِـنْ بَعـدِهـم تلـكَ الكَـرامـاتُ
وخَلّفُـونـيَ فـي قَـوْمٍ ذوي سَفَـهٍ ... لوْ أبصرُوا طيفَ ضَيفٍ في الكرى ماتوا[٧]

---

(١) المنتظم ١٠/ ١٤٢ (١٨/ ٧٧).
(٢) في (ب): «علي بن مهران».
(٣) في (ب): «إلى زاوية في جبل».
(٤) أنظر عن «ابن ذي النون» في: تاريخ الإسلام (٥٤٥ هـ.) ص ٢١٧ رقم ٢٦٠ وفيه مصادر ترجمته.
(٥) في طبعة صادر ١١/ ١٥٣، «المِسْعَري» وفي (أ): «الثغري»، وفي (ب): «السكري». والمثبت من ترجمته في: تاريخ الإسلام.
(٦) في المنتظم: «ومرّوا».
(٧) المنتظم ١٠/ ١٤٤ (١٨/ ٧٩).

(٥٤٦)
ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة

ذكر انهزام نور الدين من جُوسلين وأسر جُوسلين بعد ذلك

في هذه السنة جمع نور الدين محمود عسكره وسار إلى بلاد جُوسلين الفرنجيّ، وهي شمالي حلب، منها تلّ باشِر، وعين تاب، وإعزاز، وغيرها، وعزم على محاصرتها وأخذها. وكان جُوسلين، لعنه اللّه، فارس الفرنج غير مدافَع، قد جمع الشجاعة والرأي، فلمّا علم بذلك جمع الفرنج فأكثر، وسار نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا، فانهزم المسلمون وقُتل منهم، وأُسر جمْعٌ كثير، وكان في جملة مَن أُسر سلاحُ دار نور الدين، فأخذه جوسلين، ومعه سلاح نور الدين، فسيّره إلى الملك مسعود بن قُلْج أرسلان، صاحب قُونية، وأقصَرا، وقال له: هذا سلاح زوج ابنتك؛ وسيأتيك بعده ما هو أعظم منه.

فلمّا علم نور الدين الحال عظُم عليه ذلك، وأعمل الحيلة [على][1] جوسلين، وهجر الراحة ليأخذ بثأره، وأحضر جماعة من أمراء التركمان، وبذل لهم الرغائب إنْ هم ظفروا بجوسلين، وسلّموه إليه إمّا قتيلاً أو أسيراً، لأنّه علم أنّه متى قصده بنفسه احتمى بجموعه وحصونه، فجعل التركمان عليه العيون، فخرج متصيّداً، فلحِقت به طائفة منهم وظفروا به[2]، فصانعهم[3] على مالٍ يؤدّيه إليهم، فأجابوه إلى إطلاقه[4] إذا حضر المال، فأرسل في إحضاره، فمضى بعضهم إلى أبي بكر بن الداية، نائب نور

---

(١) من الباريسية: ونسخة (٧٤٠).
(٢) من (أ).
(٣) في (ب): «فضايقهم».
(٤) في (ب): «الخلافة».

الدين بحلب، فأعلَمه الحال، فسيّر عسكراً معه، فكبسوا أولئك التركمان وجوسلين معهم، فأخذوه أسيراً وأحضروه عنده، وكان أسْره من أعظم الفتوح لأنّه كان شيطاناً عاتياً، شديداً على المسلمين، قاسي القلب، وأصيبت النصرانيّة كافّة بأسره.

ولما أُسر سار نور الدين إلى قلاعه فملكها، وهي تلّ باشِر، وعين تاب، وإعزاز، وتلّ خالد، وقُورس، والرّاوَنْدَان، وبرج الرّصاص، وحصن البَارة(١)، وكَفَر سُود(٢) وكَفرلاثا، ودُلُوك، ومَرْعَش، ونهر الجَوز(٣)، وغير ذلك من أعماله (في مدّة يسيرة يرد تفصيلها)(٤).

وكان نور الدين كلّما فتح منها حصناً نقل إليه من كلّ ما تحتاج إليه الحصون(٥) خوفاً من نكسة(٦) تلحق المسلمين من الفرنج، فتكون بلادهم غير محتاجة إلى ما يمنعها من العدوّ(٧)؛ ومدحه الشعراء، فممّن قال فيه القيسرانيّ من قصيدة في ذكر جوسلين:

كمَـا أهْـدَتِ الأقـدارُ للقُمـصِ أسْـرَهُ ... وأُسعـدَ قـرْنُ مَـنْ حَـوَاهُ لـكَ الأسْـرُ
طَغَـى وبَغَـى عَـدْواً عَلـى غُلَـوائِـهِ ... فـأوْبَقَـهُ الكُفـرانُ عَـدْواهُ والكُفْـرُ
وأمسَـتْ عِـزازٌ كـاسْمِهـا بـكَ عـزّةً ... تشُـقّ علـى النّسـريـن لـوْ أنّهـا وَكْـرُ
فسِـرْ وامـلإِ الـدّنيـا ضيـاءً وبَهجَـةً، ... فبـالأُفُـقِ الـدّاجـي إلـى ذا السّنـا فَقْـرُ
كـأنّـي بهَـذا العَـزْمِ لا فُـلّ حَـدُّهُ ... وَأَقصـاهُ بـالأقصَـى وَقَـد قُضِـيَ الأمْـرُ
وقَـد أصْبَـحَ البَيـتُ المُقـدّسُ طـاهِـراً ... وَلَيسَ سوَى جاري الدّماء لهُ طُهرُ(٨)

---

(١) في (أ): «وحصن البادة».

(٢) في (ب): «سنود».

(٣) في (أ): «الجور» وفي ب: «الحوز».

(٤) ما بين القوسين من (أ). وفي (ب): «يرد تفصيلها».

(٥) في (أ): «الحصون ما يكفيه عشر سنين كانت عادته احتياطاً للمسلمين».

(٦) في الأوربية «نكتة».

(٧) ذيل تاريخ دمشق ٣١٠، التاريخ الباهر ١٠١، ١٠٢، الروضتين ١٨١ـ ١٨٤، تاريخ مختصر الدول ٢٠٧، ٢٠٨، مفرّج الكروب ١/ ١٢٣، تاريخ دولة آل سلجوق ٢٠٧، زبدة الحلب ٢/ ٣٠٢، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٠٦، نهاية الأرب ٢٧/ ١٥٦، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٣ تاريخ الإسلام (٥٤٦ هـ.) ص ٢٩، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٠، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٩، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٤١، الكواكب الدّرية ١٣٦، ١٣٧، تاريخ ابن سباط ١/ ١٩٤، الدر المنتخب ٢١٩.

(٨) الروضتين ١/ ١٨٧، التاريخ الباهر ١٠٣.

ذكر حصر غَرْنَاطة والمَرِيّة من بلاد الأندلس

في هذه السنة سيّر عبد المؤمن جيشاً كثيفاً، نحو عشرين ألف فارس، إلى الأندلس مع أبي حفص عمر بن أبي يحيَى الهنتاتيّ، وسيّر معهم نساءهم، (فكنّ يسرن مفرداتٍ)[1] عليهنّ البرانس السود، ليس معهنّ غير الخدم، (ومتى قرب منهنّ رجُل ضُرب بالسّياط)[2].

فلمّا قطعوا الخليج ساروا إلى غَرناطة وبها جمْعٌ من المُرابطين، فحصرها[3] عمر وعسكره، وضيّقوا عليها، فجاء إليه أحمد بن مَلحان، صاحب مدينة وادي آش وأعمالها، بجماعته، ووحّدوا، وصاروا معه، وأتاهم إبراهيم بن هَمْشَك صهر ابن مَرْدَنِيش، صاحب جَيّان، وأصحابه، ووحّدوا وصاروا[4] أيضاً معه، فكثُر جيشه، وحرّضوه على المسارعة إلى ابن مَرْدَنيش، ملك بلاد شرق الأندلس، ليبغته بالحصار قبل أن يتجهّز.

فلمّا سمع ابن مَرْدَنيش ذلك خاف على نفسه، فأرسل إلى ملك بَرْشلونة، من بلاد الفرنج، يخبره، ويستنجده، ويستحثّه على الوصول إليه، فسار إليه الفرنجيّ في عشرة آلاف فارس، وسار عسكر عبد المؤمن، فوصلوا إلى حَمّة بلقوارة، وبينها وبين مُرسية، التي هي مقرّ ابن مردنيش، مرحلة، فسمعوا بوصول الفرنج، فرجع وحصر[5] مدينة المرّية، وهي للفرنج، عدّة شهور، فاشتدّ الغلاء في العسكر، وعُدمت الأقوات، فرحلوا عنها وعادوا إلى إشبيلية فأقاموا بها.

ذكر عدّة حوداث

في هذه السنة، في ربيع الآخر، توفّي العِباديُّ الواعظ[6]، واسمه المظفّر بن أرْدَشِير، بخوزِستان، وكان الخليفة المقتفي لأمر اللّه قد سيّره في رسالة إلى الملك

---

(١) من (ب).

(٢) من (ب).

(٣) زاد في (أ): «وحصر».

(٤) في (أ): «ووحد وصار».

(٥) في (أ): «فحصرها».

(٦) المنتظم ١٠/١٤٥ (١٨/٨١)، تاريخ الإسلام (٥٤٦ هـ.) ص ٢٩، البداية والنهاية ١٢/٢٢٩.

محمّد ابن السلطان محمود ليصلح بينه وبين بدر الحويزي، فتوفّي هناك وجلس ولده ببغداد للعزاء، وأقيم بحاجب من الديوان العزيز.

وكان يجلس ويعظ ويذكر والده ويبكي هو والنّاس كافّة؛ ونُقل العِباديُّ إلى بغداد ودُفن بالشونيزي، ومولده سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، وسمع الحديث من أبي بكر الشَّيْروي، وزاهر الشَّحّاميّ وغيرهما، ورواه.

وفيها انفجر بثْق النَّهروان الذي أتمّه[١] بَهروز بكثرة الزيادة في تامرّا[٢] وإهمال أمرها، حتى عظم ذلك وتضرّر به النّاس[٣].

وفيها سار الأمير قُجُق[٤] في طائفة من عسكر السلطان سَنْجرَ إلى طُرَيْثِيث بخُراسان، وأغار على بلاد الإسماعيليّة، فنهب، وسبَى، وخرّب، وأحرق المساكن، وفعل بهم أفاعيل عظيمة، وعاد سالماً.

---

(١) في الباريسية ٧٤٠ «اتهمه».
(٢) في الباريسية: «مارا».
(٣) المنتظم ١٠/ ١٤٥ (١٨/ ٨١).
(٤) في (أ): «محق».

(٥٤٧)
ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة

ذكر مُلك عبدالمؤمن بِجايَةَ ومُلك بني حمّاد

في هذه السنة سار عبد المؤمن بن عليّ إلى بِجَايَةَ وملكها، وملك جميع ممالك بني حمّاد. وكان لما أراد قصدها سار من مَرّاكُش إلى سَبْتَةَ سنة ستٍّ وأربعين [وخمسمائة]، فأقام بها مدّة يعمر[1] الأسطول، ويجمع العساكر القريبة منه.

وأمّا ما هو على طريقه (إلى بِجَاية من البلاد)[2]، فكتب إليهم ليتجهزّوا ويكونوا على الحركة أي وقت طلبهم، والنّاس يظنّون أنّه يريد العبور إلى الأندلس، فأرسل في قطْع السابلة عن بلاد شرق المغرب برّاً وبحراً.

وسار من سَبتة في صفر سنة سبع وأربعين [وخمسمائة]، فأسرع السير، وطوى المراحل، والعساكر تلقاه في طريقه، فلَم يشعر أهل بِجاية إلاّ وهو في أعمالها، وكان ملكها يحيَى بن العزيز بن حمّاد آخر ملوك بني حمّاد، وكان مولعاً بالصيد واللهو لا ينظر في شيء من أمور مملكته، قد حكم فيها بنو حمدون، فلمّا اتّصل الخبر بميمون بن حمدون جمع العسكر وسار عن بِجاية نحو عبد المؤمن، فلقيهم مقدّمته، وهو يزيد على عشرين ألف فارس، فانهزم أهل بِجاية من غير قتال، ودخلت مقدّمة عبد المؤمن بِجاية قبل وصول عبد المؤمن بيومَين، وتفرّق جميع عسكر يحيَى بن العزيز، وهوبوا برّاً وبحراً، وتحصّن يحيَى بقلعة قسنطينة الهواء، وهرب أخواه الحارث وعبد الله إلى صِقِليّة، ودخل عبد المؤمن بِجاية، وملك جميع بلاد ابن العزيز بغير قتال.

---

(١) في الأوربية: «يعمل».
(٢) من (أ).

ثمّ إنّ يحيَى نزل إلى عبد المؤمن بالأمان، فأمنّه، وكان يحيَى قد فرح لما أُخذت بلاد إفريقية من الحسن بن عليّ فرحاً ظهر عليه، فكان يذمّه، ويذكر معايبه، فلم تطُل المدّة حتى أُخذت بلاده، ووصل الحسن بن عليّ إلى عبد المؤمن في جزائر بني مَزغَنّان، وقد ذكرنا سنة ثلاثٍ وأربعين [وخمسمائة] سبب مصيره إليها، واجتمعا عنده، فأرسل عبد المؤمن يحيَى بن العزيز إلى بلاد المغرب، وأقام بها، وأجرى عليه شيئاً كثيراً.

وأمّا الحسن بن عليّ فإنّه أحسن إليه، وألزمه صُحبته، وأعلى مرتبته، فلزِمه إلى أن فتح عبد المؤمن المهديّة فجعله فيها، وأمر واليها أن يقتدي برأيه ويرجع إلى قوله.

ولما فتح عبد المؤمن بِجاية[1] لم يتعرّض إلى مال أهلها ولا غيره، وسبب ذلك أنّ بني حمدون استأمنوا[2] فوفَى بأمانه[3].

ذكر ظفر عبد المؤمن بِصنْهَاجَة

لما ملك عبد المؤمن بِجايةَ تجمّعت صنهاجَةُ في أمم لا يحصيها إلاّ الله تعالى، وتقدّم عليهم رجل اسمه أبو قصبة، واجتمع معهم من كُتامةَ ولُواتة وغيرهما[4] خلق كثير، وقصدوا حرب عبد[5] المؤمن، فأرسل إليهم جيشاً كثيراً، ومقدّمهم أبو سعيد يَخلُف، وهو من الخمسين، فالتقوا في عُرض الجبل، شرقيّ بِجاية، فانهزم أبو قصبة، وقتل أكثر مَن معه، ونُهبت أموالهم، وسُبيت نساؤهم وذراريهم.

ولما فرغوا من صنهاجة ساروا إلى قلعة بني حمّاد، وهي من أحصن القلاع وأعلاها لا تُرام، على رأس جبل شاهق يكاد الطرْف لا يحقّقها لعُلُوّها، ولكن القدر إذا جاء لا يمنع منه معقل ولا جيوش، فلمّا رأى أهلها عساكر الموحّدين هربوا منها في رؤوس الجبال، ومُلكت القلعة، وأُخذ جميع ما فيها من مال وغيره، وحُمل إلى عبد المؤمن فقسمه.

---

(١) في (أ): «عبد المؤمن البلاد».
(٢) في (أ): «استأمنوا لهم»، وفي (أ): «استأمنوا منهم».
(٣) المختصر في أخبار البشر ٣/٢٣، تاريخ ابن سباط ١/٩٥.
(٤) في الأوربية: «وخيرها».
(٥) في (أ): «وقصد وأخرب بلاد عيد».

ذكر وفاة السلطان مسعود ومُلك ملكشاه محمّد بن محمود

في هذه السنة، أوّل رجب، توفّي السلطان مسعود[1] بن محمّد بن ملكشاه بهَمَذان، وكان مرضه حمّى حادّة نحو أسبوع، وكان مولده سنة اثنتين وخمسمائة في ذي القعدة، ومات معه سعادة البيت السّلجُوقيّ، فلم يقُمْ له بعده راية يُعتدّ بها ولا يلتفت إليها:

فَما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ ولكنّـهُ بُنيـانُ قَـوْمٍ تَهَـدّمَـا

وكان رحمه اللّه حَسَن الأخلاق، كثير المزاح والانبساط مع النّاس، فمن ذلك أنّ أتابك زنكي، صاحب الموصل، أرسل إليه القاضي كمال الدين محمّد بن عبد اللّه بن القاسم الشّهْرَزُوريّ في رسالة، فوصل إليه وأقام معه في العسكر، فوقف يوماً على خيمة الوزير، حتى قارب أذان المغرب، فعاد إلى خيمته، فأذّن المغرب وهو في الطريق، فرأى إنساناً فقيهاً في خيمة، فنزل إليه، فصلّى معه المغرب، ثمّ سأله كمال الدين: من أين هو؟ فقال: أنا قاضي مدينة كذا. فقال له كمال الدين: القضاة ثلاثة، قاضيان في النّار، وهو أنا وأنت، وقاضٍ في الجنّة وهو مَن لم يعرف أبواب هؤلاء الظَّلَمة ولا يراهم، فلمّا كان الغد أرسل السلطان، وأحضر كمال الدين إليه، فلمّا دخل عليه ورآه ضحك وقال: القضاة الثلاثة. فقال كمال الدين: نعم يا مولانا. فقال: واللّه صدقت، ما أسعدَ مَن لا يرانا ولا نراه! ثمّ أمر أن تُقضَى حاجته وأعاده من يومه.

وكان كريماً عفيفاً عن الأموال التي للرعايا، حسن السيرة فيهم، من أصلح السلاطين سيرة وألْينهم عريكة، سهل الأخلاق، لطيفاً، فمن ذلك أنّه اجتاز يوماً في بعض أطراف بغداد، فسمع امرأة تقول لأخرى: تعالي انظري إلى السلطان؛ فوقف وقال: حتى تجيء هذه الستّ تنظر إلينا.

وله فضائل كثيرة ومناقب جمّة، وكان عهد إلى ملكشاه ابن أخيه السلطان محمود، فلمّا توفّي خطب له الأمير خاصّ بك بن بَلَنكري بالسَّلطنة، ورتّب الأمور، وقرّرها بين يديه، وأذعن له جميع العسكر بالطاعة.

---

(١) أنظر عن وفاة السلطان مسعود في: تاريخ الإسلام (٥٤٧ هـ.) ص ٣٤ وفيه حشدت مصادر ترجمته، وكذا في تاريخ ابن سباط ١/ ٩٥.

ولما وصل الخبر إلى بغداد بموت السلطان مسعود هرب الشِحنة بها، وهو مسعود بلال، إلى تكريت، واستظهر الخليفة المقتفي لأمر اللّه على داره، ودُور أصحاب السلطان ببغداد، وأخذ كلّ ما لهم فيها، وكلّ مَن كان عنده وديعة لأحد منهم أحضرها بالديوان، وجمع الخليفة الرجال والعساكر وأكثر التجنيد، وتقدّم بإراقة الخمور من مساكن أصحاب السلطان، ووُجد في دار مسعود بلال، شِحنة بغداد، كثير من الخمر، فأُريق، ولم يكن النّاس يظنّون أنّه شرب الخمر بعد الحجّ، وقبض على المؤيّد الألوسيّ الشاعر، وعلى الحِيص بِيص الشاعر، ثمّ أُطلق الحِيص بِيص، وأعيد عليه ما أُخذ منه(١).

ثمّ إنّ السلطان ملكشاه سيّر سَلاركُرد في عسكر إلى الحِلّة، فدخلها، فسار إليه مسعود بلال، شحنة بغداد، وأظهر له الاتفاق معه، فلما اجتمعا قبض عليه مسعود بلال وغرّقه، واستبدّ بالحِلّة، فلمّا علم الخليفة ذلك جهّز العساكر إليه مع الوزير عون الدين بن هُبَيرة، فسار إليه، فلمّا قاربوا الحِلّة عبر مسعود بلال الفرات إليهم وقاتلهم، فانهزم من عسكر الخليفة، ونادى أهل الحِلّة بشعار الخليفة، فلم يدخلها، وتمّت الهزيمة عليه وعلى أصحابه، فعاد [إلى] تَكْريت، وملك عسكر الخليفة الحِلّة، وسيّر الوزير عسكراً إلى الكوفة وعسكراً إلى واسط، فملكوهما.

ثمّ إنّ عساكر السلطان وصلت إلى واسط، ففارقها عسكر الخليفة، فلمّا سمع الخليفة ذلك تجهّز بنفسه، وسار عن بغداد إلى واسط، ففارقها العسكر السلطانيّ، وملكها الخليفة، وسار منها إلى الحِلّة، ثمّ عاد إلى بغداد، فوصلها تاسع عشر ذي القعدة، وكان غيبته خمسة وعشرين يوماً.

ثمّ إنّ خاصّ بك بن بَلَنكري قبض على الملك ملكشاه الذي خُطب له بالسلطنة بعد مسعود، وأرسل إلى أخيه الملك محمّد سنة ثمانٍ وأربعين [وخمسمائة] وهو بخوزستان يستدعيه، وكان قصده أن يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة، فسار الملك محمّد إليه، فلمّا وصل أجلسه على تخت السلطنة أوائل صفر، وخطب له بالسلطنة، وخدمه، وبالغ في خدمته، وحمل له هدايا عظيمة جليلة المقدار.

ثمّ إنّه دخل إلى الملك محمّد ثاني يوم وصوله، فقتله محمّد وقتل معه زنكي

---

(١) المنتظم ١٤٧/١٠ (٨٤/١٨)، تاريخ الإسلام (٥٤٧ هـ.) ص ٣٦.

الجاندار، وألقى برأسيهما[1]، فتفرّق أصحابهما، ولم ينتطح فيها عنزان. وكان أيدُغْدي التركمانيّ المعروف بشَملة مع خاصّ بك، فنهاه عن[2] الدخول إلى الملك محمّد، فلم ينتهِ، فقُتل، ونجا شَملة، فنهب جشير الملك محمّد، ومضى طالباً خوزستان، وأخذم محمّد من أموال خاصّ بك شيئاً كثيراً، واستقرّ محمّد في السلطنة وتمكّن، وبقي خاصّ بك مُلقى حتى أكلته الكلاب، وكان صبيّاً تُركُمانيّاً اتّصل بالسلطان مسعود، فتقدّم على سائر الأمراء، وكان هذا خاتمة أمره.

ذكر الحرب بين نور الدين محمود وبين الفرنج

في هذه السنة تجمّعت الفرنج، وحشدت الفارس والراجل، وساروا نحو نور الدين، وهو ببلاد جوسلين، ليمنعوه عن مُلكها، فوصلوا إليه وهو بدُلُوك، فلمّا قربوا منه رجع إليهم ولقيهم، وجرى المصافّ بينهم عند دُلُوك، واقتتلوا أشدّ قتال رآه النّاس، وصبر الفريقان، ثمّ انهزم الفرنج، وقُتل منهم وأُسر كثير، وعاد نور الدين إلى دُلُوك، فملكها واستولى عليها، وممّا قيل في ذلك:

أعَـــدْتَ بَعصـــرِكَ هـــذا الأنيـ ... قِ فتـــوحَ النَّبـــيِّ وأعصـــارَهَـــا
فَـواطـأتَ يـا حبّـذا «أُحُـدَيْهـا»[3] ... وأسـرَرتَ مـن «بَـدرٍ» أبْـدارَهَـا[4]
وَكَـــانَ مُهَـــاجِـــرُهـــا تـــابعيـ ... ـك وأنصـــارُ رأيِـــكَ أنصَـــارَهَـــا
فجَـــدّدتَ إســـلامَ «سَلْمـــانِهـــا» ... وعَمّـــرَ جَـــدُّكَ عَمّـــارَهَـــا
ومـــا يَـــوْمُ «إنّـــبَ» إلاّ كَـــذا ... ك[5] بـل طـالَ بـالبُـوعِ أشبـارَهَـا
صَـدمـتَ «عـريمَتَهـا»[6] صَـدْمَـةً ... أذابَـتْ مَـعَ المَـاء أحجَـارَهَـا
وَفـي «تـلِّ بـاشَـر» بـاشَـرْتَهُـمْ ... بِـــزَحْـــفٍ تَسَـــوّرَ أسْـــوارَهـــا
وَإنْ دالَكَتْهُـــمْ «دُلُـــوكُ» فَقَـــدْ ... شـدّدتَ فصَـدّقْـتَ أخبـارَهَـا[7]

---

(١) في الأوربية: «برأسهما».
(٢) في الأوربية: «من».
(٣) في طبعة صادر ١١/ ١٦٣ «حديها».
(٤) في التاريخ الباهر «أنوارها».
(٥) في الروضتين: «كتيك».
(٦) في طبعة صادر ١١/ ١٦٤ «عَزيمتها»، والتصحيح من: ديوان ابن منير ٢٢٧.
(٧) التاريخ الباهر ١٠٤، ١٠٥ الروضتين ١/ ١٩٣، ١٩٤، ديوان ابن منير ٢٢٧، ٢٢٨، المختصر في أخبار =

ذكر الحرب بين سنجَر والغُوريّة

في هذه السنة كان بين السلطان [سَنْجَر] وبين الغُوريّة حربٌ، وكانت دولتهم أوّل ما قد ظهرت، وأوّل مَن ملك منهم رجل اسمه الحسين بن الحسين ملك جبال الغُور ومدينة فِيرُوزكُوه، وهي تقارب أعمال غَزْنَة، وقوي أمره، وتلقّب بعلاء الدين، وتعرّض إلى أعمال؛ ثمّ جمع جيشاً عظيماً، وقصد هَراة محاصراً لها، فنهب عسكره نابَ، وأوبةَ، وماربادَ[1] من هَراة والروذ، وسار إلى بَلْخ وحصرها، فقاتله الأمير قَماج، ومعه جمْعٌ من الغُزّ، فغدروا به، وصاروا مع الغوريّ فملك بَلخ، فلمّا سمع السلطان سَنْجَر بذلك سار إليه ليمنعه، فثبت له علاء الدين، واقتتلوا، فانهزم الغُوريّة، وأُسر علاء الدين، وقُتل من الغوريّة خلق كثير، لا سيّما الرجّالة، وأحضر السلطان سَنجَر علاء الدين بين يديه، وقال له: يا حُسين لو ظفرتَ بي ما كنتَ تفعل بي؟ فأخرج له قيد فضّة وقال: كنتُ أُقيّدك بهذا وأحملك إلى فِيرُوزْكُوه؛ فخلع عليه سَنجَر وردّه إلى فِيروزكُوه فبقي بها مدّةً.

ثمّ إنّه قصد غَزنة وملكها حينئذٍ بَهرام شاه بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين، فلم يثبت بها بين يدي علاء الدين، بل فارقها إلى مدينة كَرمان، وهي مدينة بين غَزنة والهند، وسكّانها قومٌ يقال لهم أبغان، وليست هذه بالولاية المعروفة بكَرْمان. فلمّا فارق بَهرام شاه غزنة ملكها علاء الدين الغُوريّ، وأحسن السيرة [في أهلها][2] واستعمل عليهم أخاه سيف الدين سوري، وأجلسه على تخت المملكة، وخطب لنفسه ولأخيه سيف الدين بعده.

ثمّ عاد علاء الدين إلى بلد الغور، وأمر أخاه أن يخلع على أعيان البلد خِلعاً نفيسةً، ويصلهم بصلاتٍ[3] سنيّةٍ، ففعل ذلك وأحسن [إليهم، فلمّا][4] جاء الشتاء، ووقع الثلج، وعلم أهل غزنة أنّ الطريق قد انقطع إليهم [كاتبوا بَهرام شاه الذي كان

= البشر ٣/ ٢٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٥١.

(١) في (أ): «ومازباد»، وفي (ب): «ماربا».

(٢) ما بين الحاصرتين من نشرة الجريدة الآسيوية ١٨٤٣ ج ٢/ ١٩١.

(٣) في الأوربية: «بصلاة».

(٤) من الباريسية.

صاحبها، واستدعوه إليهم][1]، فسار نحوهم في عسكره، فلما قارب البلد ثار أهلُه على سيف الدين فأخذوه بغير قتال، وكان العلويّون هم الذين تولّوا أسره، وانهزم الذين كانوا معه، فمنهم مَن نجا، ومنهم مَن أُخذ، ثمّ إنّهم سوّدوا وجه سيف الدين، وأركبوه بقرة، وطافوا به البلد، ثمّ صلبوه، وقالوا فيه أشعاراً يهجونه بها، وغنّى بها حتّى النساء.

فلمّا بلغ الخبر إلى أخيه علاء الدين الحسين قال شعراً معناه: إن لم أقلع غُزْنة في مرة واحدة، فلستُ الحسين بن الحسين[2].

ثمّ توفّي بَهرام شاه[3] وملك بعده ابنه خُسروشاه، وتجهّز علاء الدين الحسين وسار إلى غزنة سنة خمسين وخمسمائة، فلمّا بلغ الخبر إلى خُسروشاه سار عنها إلى لَهَاوور، وملكها علاء الدين، ونهبها ثلاثة أيّام، وأخذ العلويّين الذين أسروا أخاه، فألقاهم من رؤوس الجبال، وخرّب المحلّة التي صُلب فيها أخوه، وأخذ النساء اللواتي قيل عنهنّ إنّهنّ كنّ يغنّين بهجاء أخيه والغُوريّة، فأدخلهنّ حمّاماً، ومنعهنّ من الخروج حتى مُتن فيه.

وأقام بغَزنَةَ حتى أصلحها، ثمّ عاد إلى فِيروزكُوه، ونقل معه من أهل غزنةَ خلقاً كثيراً، وحمّلهم المخالي مملوءة تراباً، فبنى به قلعة في فِيروزكُوه، وهي موجودة إلى الآن، وتلقّب بالسلطان المعظّم وحمل الجترَ على عادة السلاطين السّلجوقيّة.

وقد تقدّم سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائة من أخبارهم، وفيه مخالفة لهذا في بعض الأمر، وكلاً سمعناه ورأيناه في مصنّفاتهم، فلهذا ذكرنا الأمرين، وأقام الحسين على ذلك مدّة، واستعمل ابني أخيه، وهما غِياث الدين، وشِهاب الدين[4].

ذكر مُلك غِياث الدين وشِهاب الدين الغُوريّين

لما قوي أمر عمّهما علاء الدين الحسين بن الحسين استعمل العمّال والأمراء

---

(١) من النسخة ٧٤٠ والباريسية.

(٢) المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٤، تاريخ الإسلام (٥٤٧ هـ.) ص ٣٦، ٣٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٥١، ٥٢، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٩، دول الإسلام ٢/ ٢٢، تاريخ ابن سباط ١/ ٩٧.

(٣) المختصر ٣/ ٢٤ و٢٧، تاريخ الإسلام ٣٧، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٩.

(٤) تاريخ الإسلام (٥٤٧ هـ.) ص ٣٧.

على البلاد، وكان ابنا أخيه، وهما غِياث الدين أبو الفتح محمّد بن سام، وشهاب الدين أبو المظفّر محمّد بن سام، فيمن استُعمل على بلد من بلاد الغُور اسمه سَنْجَة، وكان غياث الدين يلقّب حينئذٍ شمس الدين، ويلقّب الآخر شهاب الدين، فلمّا استعملهما أحسنا السيرة في عملهما وعدلا، وبذلا الأموال، فمال النّاس إليهما، وانتشر ذِكْرهما، فسعى بهما مَن يحسدهما إلى عمّهما علاء الدين، وقال: إنّهما يريدان الوثوب بك، وقتْلَك، والاستيلاء على الملك؛ فأرسل عمّهما يستدعيهما إليه، فامتنعا، وكانا قد بلغهما الخبر، فلمّا امتنعا عليه جهّز إليهما عسكراً مع قائد يسمّى خروش الغُوريّ، فلمّا التقوا انهزم خروش ومَن معه، وأُسر هو، وأبقيا عليه، وأحسنا إليه، وخلعا عليه، وأظهرا عصيان عمّهما وقطعا خطبته؛ فتوجّه إليهما علاء الدين، وسارا هما أيضاً إليه، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم علاء الدين وأُخذ أسيراً وانهزم عسكره، فنادى فيهم ابنا أخيه بالأمان، فأحضرا عمّهما وأجلساه على التخت، ووقفا في خدمته، فبكى[1] علاء الدين وقال: هذان صبيّان قد فعلا ما لو قدرتُ عليه منهما لم أفعله؛ ثمّ أحضر عمُّهما القاضي في الحال، وزوّج غياث الدين بنتاً له، وجعله وليّ عهده، وبقي كذلك إلى أن مات.

فلمّا توفّي ملك غياث الدين بعده وخطب لنفسه في الغُور وغَزنة بالمُلك، وبقي كذلك إلى أن ملك الغُزّ غزنة بعد موت علاء الدين، طمعوا فيها بموته، وبقيت بأيديهم خمس عشرة[2] سنة يصبّون على أهلها العذاب، ويتابعون الظلم كعادتهم [في] كلّ بلدة ملكوها، ولو أنّهم لما ملكوا أحسنوا السيرة في الرعايا لدام مُلكهم؛ فلم يزل الغُزّ بغزنة هذه المدّة، وغياث الدين يقوّي أمره، ويُحسن السيرة، والنّاس يميلون إليه ويقصدونه[3].

ذكر مُلك غِياث الدّين غَزنة وما جاورها من البلاد

لما قوي أمر غياث الدين جهّز جيشاً كثيفاً مع أخيه شهاب الدين إلى غَزنة، فيه أصناف الغُوريّة، والخَلَج، والخُراسانيّة، فساروا إليها، فلقيهم الغزّ

(١) في الأوربية: «فبكا».
(٢) في الأوربية: «عشر».
(٣) المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٥، ٢٦، دول الإسلام ٢/ ٦٢، تاريخ الإسلام (٥٤٧ هـ.) ص ٣٧.

وقاتلوهم[1]، فانهزم الغوريّة، وثبت شهاب الدين وسار الغزُّ خلف المنهزمين، فعطف شهاب الدين فيمن ثبت معه على صاحب عَلمهم فقتله وأخذ العَلم، وتركه على حاله، فتراجع الغزّ، ولم يكونوا علموا بما كان من شهاب الدين، فجاؤوا يطلبون عَلمهم، فكلّما جاء إليه طائفة قتلهم، فأتى على أكثرهم، ودخل غزنة وتسلّمها، وأحسن السيرة في أهلها وأفاض العدل[2].

وسار من غزنة إلى كَرمان وشنَوران[3] فملكهما، ثمّ تعدّى إلى ماء السند، وعمل على العبور إلى بلد الهند، وقصد لَهَاوُور، وبها يومئذٍ خُسروشاه بن بهرام شاه المقدّم ذِكر والده، فلمّا سمع خُسروشاه بذلك سار فيمن معه إلى ماء السند، فمنعه من العبور، فرجع عنه وقصد خَرشابور فملكها وما يليها من جبال الهند، وأعمال الأبغان، والله أعلم.

ذكر مُلك شهاب الدين لَهَاوور

لما ملك شهاب الدين جبال الهند قوي أمره وجنَانه، وعظمت هيبته في قلوب النّاس، وأحبّوه لحسن سيرته، فلمّا خرج الشتاء، وأقبل الربيع من سنة تسع وسبعين وخمسمائة، سار نحو لَهَاوور في جمْعٍ عظيم، وحشد كثير من خُراسان والغور وغيرهما، فعبر إلى لَهَاوور وحصرها، وأرسل إلى صاحبها خُسروشاه وإلى أهلها يتهدّدهم إن منعوه، وأعلمهم أنّه لا يزول حتى يملك البلد، وبذل لخُسروشاه الأمان على نفسه وأهله وماله، ومن الأقطاع ما أراد، وأن يزوّج ابنته بابن خُسروشاه على أن يطأ بساطه ويخطب لأخيه، فامتنع عليه، وأقام شهاب الدين محاصراً له، مضيّقاً عليه، فلمّا رأى أهل البلد والعسكر ذلك ضعُفَت نيّاتهم في نُصرة صاحبهم، فخذلوه، فأرسل لما رأى ذلك قاضي البلد والخطيب يطلبان له الأمان، فأجابه شهاب الدين إلى ذلك وحلف له، وخرج إليه، ودخل الغُوريّة إلى المدينة، وبقي كذلك شهرين مكرّماً عند شهاب الدين، فورد رسول من غياث الدين إلى شهاب الدين يأمره بإنفاذ خُسروشاه إليه.

---

(١) في الأوربية: «وقاتلهم».

(٢) المختصر ٣/٢٥،٢٦، تاريخ الإسلام ٣٧، دول الإسلام ٢/٦٢.

(٣) في الباريسية و ٧٤٠ «سنوران».

ذكر انقراض دولة سُبُكْتِكين

لما أنفذ غياث الدين إلى أخيه شهاب الدين يطلب إنفاذ خُسروشاه إليه أمره شهاب الدين بالتجهّز والمسير، فقال: أنا لا أعرف أخاك، ولا لي حديث إلاّ معك، ولا يمين إلاّ في عنقك؛ فمنّاه وطيّب قلبه، وجهّزه وسيّره، وسيّر معه ولده، وأصحبهما جيشاً يحفظونهما، فسارا كارهَين؛ فلمّا بلغا فَرْشَابُور خرج أهلها إليهما يبكون ويدعون لهما، فزجرهم الموكّلون بهما، وقالوا: سلطانٌ يزور سلطاناً آخر، لأيّ شيء تبكون؟ وضربوهم فعادوا، وخرج ولد خطيبها إلى خُسروشاه عن أبيه متوجّعاً له، قال: فلمّا دخلتُ عليه أعلمتُه رسالة أبي، وقلتُ: إنّه قد اعتزل الخطابة، ولا حاجة به إلى خدمة غيركم. فقال لي: سَلّم عليه. وأعطاني فرجيةً فوطاً ومصلّى من عمل الصوفيّة، وقال: هذه تذكرة أبيه عند أبي، فسلّمها إليه وقل له: دُرْ مع الدهر كيفما دار؛ وأنشد بلسانٍ فصيح:

وَلَيسَ كعَهدِ الدّار يا أمّ مالكٍ ... ولكن أحاطتْ بالرّقابِ السّلاسلُ

قال: فانصرفتُ إلى أبي وعرّفتُه الحال، فبكى، وقال: قد أيقن الرجل بالهلاك؛ ثمّ رحلوا، فلمّا بلغوا بلد الغُور لم يجتمع بهما غياث الدين بل أمر بهما فرُفعا إلى بعض القلاع، فكان آخر العهد بهما.

وهو آخر ملوك آل سبكْتِكين، وكان ابتداء دولتهم سنة ستّ وستّين وثلاثمائة، فتكون مدّة ولايتهم مائتَيْ سنة وثلاث عشرة سنة تقريباً، وكان ملوكهم من أحسن الملوك سيرة، ولا سيّما جدّه محمود، فإنّ آثاره في الجهاد معروفة، وأعماله للآخرة مشهورة:

لوْ كانَ يقعد فوْقَ الشّمس من كرَمٍ ... قَومٌ بأوّلهم أوْ مَجدِهمْ قَعَدُوا

فتبارك الذي لا يزول مُلكه، ولا تغيّره الدهور، فأُفّ لهذه الدنيا الدنيّة، كيف تفعل هذا بأبنائها! نسأل الله تعالى أن يكشف عن قلوبنا حتى نراها بعين الحقيقة، وأن يُقبل بنا إليه، وأن يشغّلنا به عمّا سواه، إنّه على كلّ شيء قدير.

هكذا[١] ذكر بعض فُضلاء خُراسان أنّ خُسروشاه آخر ملوك آل سبكتْكين، وقد ذكر غيره أنّه توفّي في المُلك، وملك بعده ابنه مَلكشاه، وسنذكره في سنة

---

(١) من هنا إلى نهاية الفقرة في (أ).

تسع[1] وخمسين وخمسمائة، وبالجملة فابتداء دولة الغُوريّة عندي فيه خُلفٌ لو ينكشف الحقّ، فأصلحه إن شاء الله تعالى.

ذكر الخطبة لغياث الدين بالسلطنة

لمّا استقرّ مُلكهم بلَهَاوُور واتّسعت مملكتهم وكثُرت عساكرهم وأموالهم كتب غياث الدين إلى أخيه شهاب الدين بإقامة الخطبة له بالسلطنة، وتلقّب بألقاب السلاطين، كان لَقَبه شمس الدين، فتلقّب غياث الدين والدنيا معين الإسلام، قسيم أمير المؤمنين؛ ولقّب أخاه معزّ الدين، ففعل شهاب الدين ذلك وخطب له بالسلطنة.

ذكر مُلك غياث الدين هَرَاة وغيرها من خُراسان

لما فرغ شهاب الدين من إصلاح أمر لهَاوور وتقرير قواعدها، سار إلى أخيه غياث الدين، فلمّا اجتمع به استقرّ رأيهما على المسير إلى خُراسان، وقصد مدينة هَراة ومحاصرتها، فسارا في العساكر الكثيرة إليها، وكان بها جماعة من الأتراك السنجريّة، فنازلا البلد وحصراه، وضيّقا على مَن به، فاستسلموا إليهما، وأرسلوا يطلبون الأمان منهما، فأجاباهم إلى ذلك وأمّناهم، فتسلّما البلد، وأخرجا مَن فيه من الأمراء السّنجَريّة، واستناب فيه غياث الدين خزْنَك[2] الغوريّ، وسار غياث الدين وأخوه إلى فُوشَنْج فملكاها[3]، ثمّ إلى باذَغيس وكالين وبَيوَار فملكاها[4] أيضاً، وتسلّم ذلك جميعه[5] غياث الدين، وأحسن السيرة في أهل البلاد، ورجع إلى فِيرُوزكُوه، ورجع شهاب الدين إلى غَزنة[6].

(وكان)[7] ينبغي أنّ حوادث الغوريّة تُذكر في السنين، وإنّما جمعناها[8] ليتلو

---

(١) في (ب): «خمس».

(٢) في الباريسية (٧٤٠): «حرىك»، وفي نسخة: «حريد».

(٣) في الأوربية: «فملكها».

(٤) في (ب): «فملكا ذلك جميعه»، وفي (أ): «فملكا».

(٥) زاد في (أ) و(ب): «ثم سار إلى مرو الروذ فملكها أيضاً وتسلم ذلك جميعه».

(٦) العبر ١٢٩/٤، دول الإسلام ٦٣/٢، تاريخ الإسلام (٥٤٧ هـ.) ص ٤٢.

(٧) من (أ).

(٨) في الأوربية: «جمعتها».

بعضها بعضاً، ولأنّ فيه ما لم يُعرف تاريخه فتركناه بحاله.

ذكر مُلك شهاب الدين مدينة آجرة[1] من بلد الهند

لما رجع شهاب الدين من خُراسان إلى غَزْنة أقام بها حتى أراح واستراح هو وعساكره، ثمّ سار إلى بلد الهند، فحاصر مدينة آجرة، وبها ملك من ملوك الهند، فلم يظفر منه بطائل، وكان للهنديّ زوجة غالبة على أمره، فراسلها شهاب الدين أنّه يتزوّجها، فأعادت الجواب أنّها لا تصلح له، وأنّ لها ابنة جميلة تزوّجه إيّاها، فأرسل إليها يجيبها إلى التزوّج بابنتها، فسقتْ زوجها سُمّاً فمات، وسلّمت البلد إليه.

فلمّا تسلّمه أخذ الصبيّة فأسلمت، وتزوّجها، وحملها إلى غَزنة، وأجرى عليها الجرايات الوافرة، ووكّل بها مَن علّمها القرآن، وتشاغل عنها، فتوفّيت والدتها، ثمّ توفّيت هي بعد عشر سنين، ولم يرها ولم يقربها، فبنى لها مشهداً ودفنها فيه، وأهل غَزنة يزورون قبرها.

ثمّ عاد إلى بلد الهند، فذلّ له صِعابها، وتيسّر له فتح الكثير من بلادهم، ودّوخ ملوكهم، وبلغ منهم ما لم يبلغه أحد قبله من ملوك المسلمين[2].

ذِكر ظفر الهند على المسلمين

لما اشتدّت نكاية شهاب الدين في بلاد الهند وإثخانه في أهلها واستيلاؤه عليها، اجتمع ملوكهم وتآمروا بينهم، ووبّخ بعضهم بعضاً، فاتّفق رأيهم على الاجتماع والتعاضد على حربه، فجمعوا عساكرهم وحشدوا، وأقبل إليهم الهنود من كلّ فجّ عميق على الصعب والذلول، وجاؤوا بحدّهم وحديدهم، وكان الحاكم على جميع الملوك المجتمعين امرأة هي من أكبر ملوكهم.

فلمّا سمع باجتماعهم ومسيرهم إليه تقدّم هو أيضاً إليهم في عسكر عظيم من الغُوريّة والخَلَج والخُراسانيّة وغيرهم، فالتقوا واقتتلوا، فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم المسلمون، وركبهم الهنود يقتلون ويأسرون، وأثخنوا فيهم، وأصاب شهاب

---

(١) في (أ): «أخبه»، وفي (ب): «أجه».
(٢) العبر ٤/١٢٩، دول الإسلام (٥٤٧ هـ.) ص ٤٣، دول الإسلام ٢/٦٣، ٦٤.

الدين ضربة بطلت منها يده اليُسرى، وضربة أخرى على رأسه سقط منها إلى الأرض، وحجز الليل بين الفريقين، فأحسّ شهاب الدين بجماعة من غلمانه الأتراك في ظلمة اللّيل، وهم يطلبونه في القتلى ويبكون، وقد رجع الهنود إلى ورائهم، وكلّمهم وهو على ما به من الجهد، فجاؤوا إليه مسرعين، وحملوه على رؤوسهم رجّالة يتناوبون حمله، حتى بلغوا مدينة آجرة مع الصباح.

وشاع خبر سلامته في النّاس، فجاؤوا إليه يهنّئونه من أقطار البلاد، فأوّل ما عمل أنّه أخذ أمراء الغُوريّة الذين انهزموا عنه وأسلموه، فملأ مخالي خيلهم شعيراً، وحلف لئن لم يأكلوه ليضربنّ أعناقهم، فأكلوه ضرورةً.

وبلغ الخبر إلى أخيه غياث الدين فكتب إليه يلومه على عجلته وإقدامه، وأنفذ إليه جيشاً عظيماً.

ذكر ظفر المسلمين بالهند

لما سلم شهاب الدين وعاد إلى آجرة، وأتاه المدد من أخيه غياث الدين، عاد الهنود فجدّدوا[١] سلاحهم، ووفروا جمعهم، وأقاموا عِوضَ مَن قُتل منهم، وسارت ملكتهم وهم معها في عدد يضيق عنه الفضاء، فراسلها شهاب الدين يخدعها بأنّه يتزوّجها، فلم تجبه إلى ذلك، وقالت: إمّا الحرب، وإمّا أن تسلم بلاد الهند وتعود إلى غَزنة، فأجابها إلى العَود إلى غَزنة، وأنّه يستأذن أخاه غياث الدين؛ فعل ذلك مكراً وخديعةً.

وكان بين العسكرين نهرٌ، وقد حفظ الهنود المخاضات، فلا يقدر أحد من المسلمين [أن] يجوزه، وأقاموا ينتظرون ما يكون من جواب غياث الدين بزعمهم، فبينما هم كذلك إذ وصل إنسانٌ هنديّ إلى شهاب الدين، وأعلمه أنّه يعرف مخاضاً قريباً من عسكر الهنود، وطلب أن يرسل معه جيشاً يعبّرهم المخاض، ويكبسون الهنود وهم غارّون غافلون، فخاف شهاب الدين أن تكون خديعة ومكراً، فأقام له ضمناء من أهل آجرة والمُولتان، فأرسل معه جيشاً كثيفاً، وجعل عليهم الأمير الحسين بن خَرميل الغوريّ، وهو الذي صار بعدُ صاحب هَراة، وكان من الشجاعة والرأي بالمنزلة المشهورة.

---

(١) في الأوربية: وعاد الهنود جددوا.

فسار الجيش مع الهنديّ، فعبروا النهر، فلم يشعر الهنود إلاّ وقد خالطهم المسلمون، ووضعوا السيف فيهم، فاشتغل الموكّلون بحفظ المخاضات، فعبر شهاب الدين وباقي العساكر، وأحاطوا بالهنود، وأكثروا القتل فيهم، ونادوا بشعار الإسلام، فلم ينجُ من الهنود إلاّ مَن عجز المسلمون عن قتله وأسره، وقُتلت ملكتهم، وتمكّن شهاب الدين بعد هذه الوقعة من بلاد الهند، وأمن معرّة[1] فسادهم. والتزموا له بالأموال، وسلّموا إليه الرهائن وصالحوه[2]، وأقطع مملوكه قُطْب الدين ايبك مدينة دَهْلي، وهي كرسي الممالك التي فتحها من الهند، فأرسل عسكراً من الخَلَج مع محمّد بن بختيار، فملكوا من بلاد الهند مواضع ما وصل إليها مسلم قبله، حتى قاربوا حدود الصين من جهة المشرق.

وقد حدّثني صديق لي من التجار بوقعتين تشبهان[3] هاتَين الوقعتَين المذكورتين وبينهما بعض الخلاف، وسيرد ذكرهما سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة[4].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّي يعقوب الكاتب[5] ببغداد، وكان يسكن بالمدرسة النظاميّة، وحضر متولّي المتروكات[6] وختم على الغرفة التي كان يسكنها بالمدرسة، فثار الفقهاء وضربوا المتولّي وأخذوا التركة، وهذه عادتهم فيمن يموت بها وليس له وارث، فقبض حاجب الباب على رجلَين من الفقهاء وعاقبهما، وحبسهما، فأغلق الفقهاء المدرسة، وألقوا كرسي الوعّاظ في الطريق، وصعدوا سطح المدرسة ليلاً، واستغاثوا، وتركوا الأدب.

وكان حينئذٍ مدرّسهم الشيخ أبا النجيب، فجاء وألقى نفسه تحت التاج يعتذر، فعُفي عنه.

---

(١) في (أ): «معرتهم».

(٢) في (أ): «وحملوا إليه».

(٣) في الأوربية: «تشبه».

(٤) دول الإسلام ٢/ ٦٤، تاريخ الإسلام (٥٤٧ هـ.) ص ٤٣.

(٥) أنظر عن (يعقوب الكاتب) في: المنتظم ١٠/ ١٥٢ رقم ٢٣٢ (١٨/ ٨٩، رقم ٤١٨١)، وتاريخ الإسلام (٥٤٧ هـ.) ص ٢٩١ رقم ٤١٠٩، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٣٠.

(٦) في الأوربية: «المتركات».

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي حسام الدين تَمِرْتاش[1] صاحب ماردين ومَيّافارقين، وكانت ولايته نيّفاً وثلاثين سنة، وتولّى بعده ابنه نجم الدين[2] ألبي.

وفيها مات أبو الفضل محمّد بن عمر بن يوسف الأُرْمَوي[3] الشافعي المحدّث، ومولده سنة تسعٍ وخمسين وأربعمائة.

وفيها توفي أبو الأسعد عبد الرحمن القُشَيريّ في شوّال، وهو شيخ شيوخ[4] خُراسان.

وفيها، في المحرّم، باض ديك ببغداد بيضة، وباض بازي بيضتين، وباضت نَعامة لا ذَكَر معها بيضة[5].

---

(١) أنظر عن (تمرتاش) في: تاريخ الإسلام (٥٤٧ هـ.) ص ٢٦٧، ٢٦٨ رقم ٣٦٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) وفي (أ): «هبة الرحمن».

(٣) أنظر عن (الأُرْمَوي) في: تاريخ الإسلام (٥٤٧ هـ.) ص ٢٧٩، ٢٨٠ رقم ٣٩٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) في (أ): «شيخ من شيوخ».

(٥) المنتظم ١٠/١٤٦ (١٨/٨٣).

(٥٤٨)
ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

ذكر انهزام سَنجَر من الغُزّ ونهبهم خراسان وما كان منهم

في هذه السنه، في المحرّم، انهزم السلطان سَنجَر من الأتراك الغُزّ، وهم طائفة من الترك مسلمون، كانوا بما وراء النهر، فلمّا ملك الخِطَا أخرجوهم منه، كما ذكرنا، فقصدوا خُراسان، وكانوا خلقاً كثيراً، فأقاموا بنواحي بَلْخ يرعون في مراعيها، وكان لهم أمراء اسم أحدهم دينار، والآخر بَخْتِيار، والآخر طَوطى، والآخر أرسلان، والآخر جَغَر[1]، والآخر محمود، فأراد الأمير قَماج، وهو مُقطع بلْخ، إبعادهم، فصانعوه بشيءٍ بذلوه له، فعاد عنهم، فأقاموا على حالةٍ حسنةٍ لا يؤذون أحداً، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة.

ثمّ إنّ قماج عاودهم وأمرهم بالانتقال عن بلده، فامتنعوا، وانضمّ بعضهم إلى بعض، واجتمع معهم غيرهم من طوائف الترك، فسار قماج إليهم في عشرة آلاف فارس، فجاء إليه أمراؤهم وسألوه أن يكفّ عنهم، ويتركهم في مراعيهم، ويعطونه من كلّ بيت مائتَيْ درهم فضّة، فلم يُجِبهم إلى ذلك، وشدّد عليهم في الانتزاح عن بلده، فعادوا عنه، واجتمعوا وقاتلوه، فانهزم قماج ونهبوا ماله ومال عسكره، وأكثروا القتل في العسكر والرعايا، واسترقّوا النساء والأطفال، وعملوا كلّ عظيمة، وقتلوا الفقهاء وخرّبوا المدارس.

وانتهت الهزيمة بقَماج إلى مرو، وبها السلطان سَنجَر، فأعلمه الحال، فراسلهم سنجَر يتهدّدهم، فأمرهم بمفارقة بلاده، فاعتذروا، وبذلوا بذلاً كثيراً ليكفّ عنهم

---

(١) في الأوربية: «جغز».

ويتركهم في مراعيهم، فلم يُجِبهم إلى ذلك، وجمع عساكره من أطراف البلاد، واجتمع معه ما يزيد على مائة ألف فارس، وقصدهم ووقع بينهم حربٌ شديدة، فانهزمت عساكر سنَجر، وانهزم هو أيضاً، وتبعهم الغُزّ قتلاً وأسراً، فصار قتلى العسكر كالتلال، وقُتل علاء الدين قَماج، وأُسر [السلطان سَنجر، وأُسر][1] معه جماعة من الأمراء، [فأمّا الأمراء][2] فضربوا أعناقهم، وأمّا السلطان سَنجر، فإنّ أمراء الغُزّ اجتمعوا، وقبّلوا الأرض بين يديه، وقالوا: نحن عبيدك لا نخرج عن طاعتك، فقد علمنا أنّك لم تُرِد قتالنا، وإنّما حُملتَ عليه، فأنت السلطان ونحن العبيد؛ فمضى على ذلك شهران، أو ثلاثة، ودخلوا معه إلى مرو وهي كرسي مُلك خُراسان، وطلبها منه بختيار إقطاعاً، فقال السلطان: هذه دار الملك ولا يجوز أن تكون إقطاعاً لأحد. فضحكوا منه وحبق له بختيار بفمه، فلمّا رأى ذلك نزل عن سرير الملك، ودخل خانكاه مَرْو وتاب عن الملك.

واستولى الغُزّ على البلاد، وظهر منهم من الجور ما لم يُسمع بمثله، وولّوا على نَيسابور والياً، فقسّط على النّاس كثيراً وعسفهم وضربهم، وعلّق في الأسواق ثلاث غرائر، وقال: أريد ملء[3] هذه ذَهَباً؛ فثار عليه العامّة فقتلوه ومَن معه، فركب الغُزّ ودخلوا نَيسابور ونهبوها نهباً مُجْحِفاً، وجعلوها قاعاً صفصفاً، وقتلوا الكبار والصغار وأحرقوها، وقتلوا القضاة والعلماء في البلاد كلّها، فممّن [قُتل] الحسين بن محمّد الأرسابَنْديّ، والقاضي عليّ بن مسعود، والشيخ محمّد بن يحيَى.

وأكثَر الشعراءُ في مراثي محمّد بن يحيَى، فممّن قال فيه عليُّ بن إبراهيم الكاتب:

مضَى الذي كانَ يُجْنَى الدُّرُّ من فيهِ ... يَسيلُ بالفَضْلِ والإفضَالِ واديهِ
مضى ابن يحيَى الذي قد كان صوبَ حياً ... لأبرِ شَهْرٍ وَمِصْباحاً لداجِيهِ
خَلا خُراسانُ من عِلْمٍ ومن وَرَعٍ ... لَمّا نَعَاهُ إلى الآفاقِ ناعِيهِ
لَمّا أماتُوهُ ماتَ الدّينُ والأسَفا ... مَنْ ذا الذي بعد مخيي الدّينِ يُحييهِ

---

(١) في الباريسية و(٧٤٠).
(٢) من الباريسية.
(٣) في الأوربية: «ملىء».

ويتعذّر وصف ما جرى منهم على تلك البلاد جميعها، ولم يسلُم من خُراسان شيء لم تنهبه[1] الغُزّ غير هَراة ودِهِسْتان لأنّها كانت حصينة فامتنعت.

وقد ذكر بعض مؤرّخي خُراسان من أخبارهم ما فيه زيادة وضوح وقال: إنّ هؤلاء الغزّ[2] قوم انتقلوا من نواحي الثغر من أقاصي الترك إلى ما وراء النهر في أيّام المهدي، وأسلموا، واستنصر بهم المقنّع صاحب المخاريق والشعبذة، حتى تمّ أمره، فلمّا سارت العساكر إليه خذله هؤلاء الغزّ وأسلموه، وهذه عادتهم في كلّ دولة كانوا فيها؛ وفعلوا مثل ذلك مع الملوك الخاقانيّة[3]، إلاّ أنّ الأتراك القارغليّة[4] قمعوهم، وطردوهم عن أوطانهم، فدعاهم الأمير زنكي بن خليفة الشيباني المستولي على حدود طَخارِستان إليه، وأنزلهم بلاده، وكانت بينه وبين الأمير قَماج عداوة أحكمتها الأيّام للمجاورة التي بينهما، وكلّ منهما يريد أن يعلو على الآخر ويحكم عليه، فتقوّى بهم زنكي، وساروا معه إلى بَلَخ لمحاربة قماج، فكاتبهم قماج، فمالوا إليه، وخذلوا زنكي عند الحرب، فأخذ زنكي وابنه أسيرين، فقتل قماجُ ابنَ زنكي، وجعل يطعم أباه لحمه، ثمّ قتل الأب أيضاً، وأقطع قماج الغزّ مواضع، وأباحهم مراعي بلاده.

فلمّا قام الحسين بن الحسين الغوريّ بغَزنة وقصد بلخ خرج إليه قماج وعساكره ومعه الغزّ، ففارقه الغزّ[5] وانضمّوا إلى الغوريّ حتى ملك مدينة بلْخ، فسار السلطان سَنجَر إلى بَلْخ، ففارقها الغوريّ بعد قتال انهزم منه، ثمّ دخل على السلطان سَنجَر لعجزه عن مقاومته، فردّه إلى غزنة.

وبقي الغزّ بنواحي طَخارستان وفي نفس قماج منهم الغيظ العظيم لما فعلوه معه، فأراد صرْفهم عن بلاده، فتجمّعوا، وانضمّ إليهم طوائف من الترك، وقدّموا عليهم أرسلان بُوقا التركي، فجمع قماج عسكره ولقيهم فاقتتلوا يوماً كاملاً إلى اللّيل، فانهزم قماج وعسكره، وأُسر هو وابنه أبو بكر، فقتلوهما، واستولوا على نواحي بلْخ، وعاثوا فيها وأفسدوا بالنهب والقتل والسلب.

---

(١) في الأوربية: «تنبه».

(٢) في (أ): «الثغرغر»، وفي (ب): «النغرغز».

(٣) في (أ): «الملوك الخانية».

(٤) في (أ): «القارلغية».

(٥) في (أ): «ففارقه طائفة».

وبلغ السلطانَ سَنجرَ الخبرُ، فجمع عساكره وسار إليهم، فراسلوه يعتذرون ويتنصّلون، فلم يقبل عُذرهم، ووصل إليهم مقدّمة السلطان، وفيها محمّد بن أبي بكر بن قماج المقتول، والمؤيّد أي أبَه في المحرّم من سنة ثمانٍ وأربعين وخمسمائة، ووصل بعدهم السلطان سَنجَر، فالتقاه الغزّ بعد أن أرسلوا يعتذرون ويبذلون الأموال والطاعة والانقياد إلى كلّ ما يؤمرون به، فلم يقبل سنجر ذلك منهم، وسار إليهم، فلقوه وقاتلوه وصبروا له، ودام قتالهم، فانهزم عسكر سنجر وهو معهم، فتوجّهوا إلى بَلخ على أقبح صورة، وتبعهم الغزّ، واقتتلوا مرّة ثانيةً، فانهزم السلطان سنجر أيضاً، ومضى منهزماً إلى مَرْوَ في صفر من السنة، فقصد الغزّ إليها، فلمّا سمع العسكر الخُراساني بقربهم منهم أجفلوا من بين أيديهم هاربين لما دخل قلوبهم من خوفهم والرعب منهم؛ فلمّا فارقها السلطان والعسكر دخلها الغزّ ونهبوها أفحش نهب وأقبحه، وذلك في جُمادى الأولى من السنة، وقُتل بها كثير من أهلها وأعيانها، منهم قاضي القضاة الحسين بن محمّد الأرسابَنْديّ، والقاضي عليُّ بن مسعود، وغيرهما من الأئمّة العلماء.

ولما خرج سنجر من مرو قصد اندرابة وأخذه الغزّ أسيراً، وأجلسوه على تخت السلطنة على عادته، وقاموا بين يديه، وبذلوا له الطاعة، ثمّ عاودوا الغارة على مرو في رجب من السنة، فمنعهم أهلها، وقاتلوهم قتالاً بذلوا فيه جهدهم وطاقتهم، ثمّ إنّهم عجزوا، فاستسلموا إليهم، فنهبوها أقبح من النّهب الأوّل، ولم يتركوا بها شيئاً.

وكان قد فارق سنجر جميع أمراء خُراسان ووزيره طاهر بن فخر المُلك بن نظام المُلك، ولم يبقَ عنده غير نفر يسير من خواصّه وخدمه؛ فلمّا وصلوا إلى نَيسابور أحضروا الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد، فوصل إلى نَيسابور تاسع عشر جُمادى الآخرة من السنة، فاجتمعوا عليه، وخطبوا له بالسلطنة، وسار في هذا الشهر جماعة من العسكر السلطانيّ إلى طائفة كثيرة من الغزّ، فأوقعوا بهم، وقتلوا منهم كثيراً، وانهزم الباقون إلى أمرائهم الغُزّيّة فاجتمعوا معهم.

ولما اجتمعت العساكر على الملك سليمان شاه ساروا إلى مرو يطلبون الغزّ، فبرز الغزّ إليهم، فساعةَ رآهم العسكر الخُراسانيّ[1] انهزموا وولّوا على أدبارهم،

---

(١) في (أ): «العسكر السلطاني».

وقصدوا نَيسابور، وتبِعهم الغزّ، فمرّوا بطُوس، وهي معدن العلماء والزهّاد، فنهبوها، وسبوا نساءها، وقتلوا رجالها، وخرّبوا مساجدها ومساكن أهلها، ولم يسْلَم من جميع ولاية طُوس إلاّ البلدُ الذي فيه مشهد عليّ بن موسى الرِضى، ومواضع أُخر يسيرة لها أسوار.

وممّن قُتل من أعيان أهلها إمامها محمّد المارشكيّ، ونقيب العلويّين بها عليّ المُوسوي، وخطيبها إسماعيل بن المُحسن، وشيخ شيوخها محمّد بن محمّد، وأفنوا من بها من الشيوخ الصالحين.

وساروا منها إلى نَيسابور، فوصلوا إليها في شوّال سنة تسع وأربعين [وخمسمائة]، ولم يجدوا دونها مانعاً ولا مدافعاً، فنهبوها نهباً ذريعاً، وقتلوا أهلها، فأكثروا حتى ظنّوا أنّهم لم يُبقوا بها أحداً، حتى إنّه أُحصي في محلّتين خمسة عشر ألف قتيل من الرجال دون النساء والصبيان، وسبوا نساءها وأطفالها، وأخذوا أموالهم، وبقي القتلى في الدروب كالتلال بعضهم فوق بعض، واجتمع أكثر أهلها بالجامع المَنِيعي، وتحصنّوا به، فحصرهم الغزّ، فعجز أهل نَيسابور عن منعهم، فدخل الغزّ إليهم فقتلوهم عن آخرهم، وكانوا يطلبون من الرجل المال، فإذا أعطاهم الرجل ماله قتلوه؛ وقتلوا كثيراً من أئمّة العلماء والصالحين، منهم محمّد بن يحيَى الفقيه الشافعيّ الذي لم يكن في زمانه مثله، كان رَحلة النّاس من أقصى الغرب والشرق إليه، ورثاه جماعة من العلماء، منهم أبو الحسن عليُّ بن أبي القاسم البَيْهَقيّ فقال:

يـا سـافِكـاً دَمَ عـالِـمٍ مُتبَحِّـرٍ   قد طارَ في أقصَى المَمالكِ صِيتُهُ
بللّهِ قُلْ لي يا ظَلومُ وَلا تخفْ[1]   مَن كانَ يُحيي الدّين كيفَ تميتُهُ

ومنهم الزاهد عبد الرحمن بن عبد الصمد الأكّاف، وأحمد بن الحسين الكاتب سِبط القُشَيريّ، وأبو البركات الفُراويّ، والإمام عليّ الصبّاغ المتكلّم، وأحمد بن محمّد بن حامد، وعبد الوهّاب الملقاباذيّ، والقاضي صاعد بن عبد الملك بن صاعد، والحسن[2] بن عبد الحميد الرازيّ، وخلق كثير من الأئمّة والزهّاد والصالحين، وأحرقوا ما بها من خزائن الكتب، ولم يَسلَم إلاّ بعضها.

---

(١) في (ب): «ولا يعش».
(٢) في (ب): «الحسين».

وحصروا شارستان، وهي منيعة، فأحاطوا بها، وقاتلهم أهلها من فَوق سورها، وقصدوا جُوَيْن فنهبوها، وقاتلهم أهل بحراباذ من أعمال جُوَيْن، وبذلوا نفوسهم للّه تعالى، وحموا بيضتهم والباقي أتَى النّهب والقتل عليه؛ ثمّ قصدوا أسفرايين فنهبوها وخرّبوها، وقتلوا في أهلها فأكثروا.

وممّن قُتل عبد الرشيد الأشعثيّ، وكان من أعيان دولة السلطان، فتركها وأقبل على الاشتغال بالعلم وطلب الآخرة؛ وأبو الحسن الفَنْدَروجيّ، وكان من ذوي الفضائل لا سيّما في علم الأدب.

ولما فرغ الغُزّ من جُوَين وأسفرايين عاودوا نيسابور، فنهبوا ما بقي فيها بعد النهب الأوّل، وكان قد لحِق بشَهْرَستان كثير من أهلها، فحصرهم الغزّ واستولوا عليها، ونهبوا ما كان فيها لأهلها ولأهل نيسابور، ونهبوا الحُرَم والأطفال، وفعلوا ما لم يفعله الكفّار مع المسلمين، وكان العيّارون أيضاً ينهبون نيسابور أشدّ من نهب الغزّ، ويفعلون أقبح من فعلهم.

ثمّ إنّ أمر الملك سليمان شاه ضعُف، وكان قبيح السيرة، سيّء التدبير، وإنّ وزيره طاهر بن فخر المُلك بن نظام المُلك توفّي في شوّال سنة ثمانٍ وأربعين [وخمسمائة] فضعُف أمره، واستوزر سليمان شاه بعده ابنه نظام المُلك أبا عليّ الحسن بن طاهر، وانحلّ أمر دولته بالكليّة، ففارق خُراسان في صفر سنة تسعٍ وأربعين [وخمسمائة] وعاد إلى جُرجان، فاجتمع الأمراء وراسلوا الخان محمود بن محمّد بن بُغراخان، وهو ابن أخت السلطان سَنجَر، وخطبوا له على منابر خُراسان، واستدعوه إليهم، فملّكوه أمورهم، وانقادوا له في شوّال سنة تسعٍ وأربعين وخمسمائة، وساروا معه إلى الغزّ وهم يحاصرون هراة، وجرت بينهم حروبٌ كان الظفر في أكثرها للغزّ، ورحلوا في جمادى الأولى من سنة[1] خمسين وخمسمائة مِن على هراة إلى مرو، وعاودوا المصادرة لأهلها.

وسار خاقان محمود بن محمّد إلى نيسابور وقد غلب عليها المؤيد، على ما نذكره، وراسل الغزّ في الصلح، فاصطلحوا في رجب من سنة خمسين وخمسمائة،

---

(١) في (أ): «جمادى الآخرة سنة».

هدنةً على دخَن، وسيرِد باقي أخبارهم سنة اثنتين وخمسين[١].

ذكر مُلك المؤيد نَيسابور وغيرها

كان للسلطان سَنجَر مملوك اسمه أي أبَه، ولَقَبُه المؤيّد، فلمّا كانت هذه الفتنة تقدّم، وعلا شأنه، وأطاعه كثير من الأمراء، واستولى على نَيسابور، وطُوس، ونَسَا، وأبِيوَرْدَ، وشَهْرَستانَ، والدّامغان، وأزاح الغُزّ عن الجميع، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأحسن السيرة، وعدل في الرعيّة، واستمال النّاس، ووفّر الخراج على أهله، وبالغ في مراعاة أرباب البيوت، فاستقرّت البلاد له، ودانت له الرعيّة لحسن سيرته، وعظُم شأنه، وكثُرت جموعُه، فراسله خاقان محمود بن محمّد في تسليم البلاد والحضور عنده، فامتنع، وتردّدت الرسل بينهم، حتى استقرّ على المؤيّد مال يحمله إلى الملك محمود، فكفّ عنه محمود، وأقام المؤيّد بالبلاد هو والملك محمود[٢].

ذكر ملك إينانج الرَّيّ

كان إينانج أحد مماليك سَنجَر، فلمّا كان من فتنة الغُزّ ما ذكرناه هرب من خُراسان، ووصل إلى الرَّيّ، فاستولى عليها وأقام بها، فأرسل إلى السلطان محمّد شاه بن محمود صاحب همذان، وأصفهان، وغيرهما، خدمه وهدايا فأرضاه بها، وأظهر له الطاعة، وبقي بها إلى أن مات الملك محمود، فاستولى عليها وعلى عدّة بلاد تجاور الريّ، فملكها، فعظُم أمره، وعلا شأنه، وصارت عساكره عشرة آلاف فارس.

فلمّا ملك سليمان شاه هَمَذان، (على ما نذكره)[٣]، حضر عنده، وأطاعه لأُنسه به، كان أيّام مقام سليمان شاه بخُراسان، فتقوّى أمره بذلك[٤].

---

(١) الخبر في: زبدة التواريخ ٢٣٠ ـ٢٣٢، وراحة الصدور ١٧٧ ـ١٨١، وحبيب السير ٢/ ٥١١، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٦، ٢٧، ودول الإسلام ٢/ ٦٣، والعبر ٤/ ١٢٩، وتاريخ الإسلام (٥٤٨ هـ.) ص ٤١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٣، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٦٥، ومرآة الجنان ٣/ ٢٨٦، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٣٠، ٢٣١ وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٧٠، ٧١، والكواكب الدرية ١٤١، ١٤٣، تاريخ الخلفاء ٤٤٠، تاريخ ابن سباط ١/ ٩٧، ٩٨.

(٢) المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٧.

(٣) من (أ).

(٤) المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٧.

ذكر قتل ابن السلاّر وزير الظافر ووزارة عبّاس

في هذه السنة، في المحرّم، قُتل العادل بن السلاّر وزير الظافر باللّه؛ قتله ربيبه عبّاس بن أبي الفتوح بن يحيَى الصّنهاجيّ، وأشار عليه بذلك الأمير أُسامة بن مُنقِذ، ووافق عليه الخليفة الظافرُ باللّه، فأمر ولده نصراً، فدخل على العادل وهو عند جدّته أمّ عبّاس، فقتله ووليَ الوزارة (بعده ربيبُه)[1] عبّاس.

وكان عبّاس قد قدِم من المغرب، كما ذكرناه، إلى مصر، وتعلّم الخياطة، وكان خيّاطاً حسناً فلمّا تزوّج ابن السلاّر بأمّه أحبّه، وأحسن تربيته، فجازاه بأن قتله ولَي بعده.

وكانت الوزارة في مصر لمن غلب، والخلفاء من وراء الحجّاب، والوزراء كالمتملّكين، وقلّ أن وليها أحدٌ بعد الأفضل إلاّ بحرب وقتْل وما شاكل ذلك، فلذلك ذكرناهم في تراجم مفردة[2] واللّه أعلم.

ذكر الحرب بين العرب وعساكر عبد المؤمن

في هذه السنة، في صفر، كانت الحرب بين عسكر عبد المؤمن والعرب عند مدينة سَطيف.

وسبب ذلك أنّ العرب، وهم بنو هلال، والأبتح[3] وعَديّ، ورِياح، وزُغْب، وغيرهم من العرب، لما ملك عبد المؤمن بلاد بني حمّاد اجتمعوا من أرض طرابُلُس إلى أقصى المغرب، وقالوا: إنْ جاورنا عبد المؤمن أجلانا من المغرب، وليس الرأي إلاّ إلقاء الجدّ معه، وإخراجه من البلاد قبل أن يتمكّن.

---

(١) من (أ).

(٢) أنظر عن قتل ابن السلار في: ذيل تاريخ دمشق ٣١٩، ٣٢٠، ونزهة المقلتين ٦٤، وأخبار الدول المنقطعة ١٠٤، وأخبار مصر لابن ميسر ٢/ ٩٢، ونهاية الأرب ٢٨/ ٣١٤، والروضتين ١/ ٢٢٦، ٢٢٧، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٧، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢١٤، وتاريخ الإسلام (٥٤٨ هـ.) ص ٤٢، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٤، والدرة المضية. ٥٥٣، واتعاظ الحنفا ٢/ ٢٠٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٨، وتاريخ ابن سباط ١/ ٩٨.

(٣) في (أ): «الأشج»، وفي (ب): «الابح». . .

وتحالفوا على التعاون والتضافر[1]، وأن لا يخون بعضهم بعضاً، وعزموا على لقائه بالرجال والأهل والمال ليقاتلوا قتال الحريم.

واتّصل الخبر بالملك رُجّار الفرنجيّ، صاحب صَقَلّية، فأرسل إلى أمراء العرب، وهم مُحرِز بن زياد، وجبُارة بن كامل، وحسن بن ثعلب، وعيسى بن حسن وغيرهم، يحثّهم على لقاء عبد المؤمن، ويعرض عليهم أن يرسل إليهم خمسة آلاف فارس من الفرنج يقاتلون معهم، على شرط أن يرسلوا إليه الرهائن؛ فشكروه وقالوا: ما بنا حاجة إلى نجدته، ولا نستعين بغير المسلمين.

وساروا في عدد لا يُحصى، وكان عبد المؤمن قد رحل من بِجاية إلى بلاد المغرب، فلمّا بلغه خبرهم جهّز جيشاً من الموحّدين يزيد على ثلاثين ألف فارس، واستعمل عليهم عبد اللّه بن عُمر الهَنتاني، وسعد اللّه بن يحيَى، وكان العرب أضعافهم، فاستجرّهم الموحّدون، وتبِعهم العرب إلى أن وصلوا إلى أرض سَطيف، بين جبال، فحمل عليهم عسكر عبد المؤمن، فجاءه والعرب على غير أُهْبة، والتقى الجَمْعان، واقتتلوا أشدّ قتال وأعظمه، فانجلت المعركة عن انهزام العرب ونُصرة الموحّدين.

وترك العرب جميع ما لهم من أهل ومال وأثاث ونَعَم، فأخذ الموحّدون جميع ذلك، وعاد الجيش إلى عبد المؤمن بجميعه، فقسّم جميع الأموال على عسكره، وترك النساء والأولاد تحت الاحتياط، ووكّل بهم من الخدم الخِصيان مَن يخدمهم ويقوم بحوائجهم، وأمر بصيانتهم؛ فلمّا وصلوا معه إلى مَرّاكُش أنزلهم في المساكن الفسيحة، وأجرى لهم النفقات الواسعة، وأمر عبد المؤمن ابنه محمّداً أن يكاتب أمراء العرب، ويُعلمهم أنّ نساءهم وأولادهم تحت الحِفْظ والصيانة، وأمرهم أن يحضروا ليسلّم إليهم أبوه ذلك جميعه، وأنّه قد بذل لهم الأمان.

فلمّا وصل كتاب محمّد إلى العرب سارعوا إلى المسير إلى مَرّاكُش، فلمّا وصلوا إليها أعطاهم عبد المؤمن نساءهم وأولادهم، وأحسن إليهم، وأعطاهم أموالاً جزيلةً، **فاسترقّ** قلوبهم بذلك، وأقاموا عنده، وكان بهم حَفِيّاً، واستعان بهم على

(١) في الأوربية «التظافر».

ولاية ابنه محمّد للعَهد، على ما نذكره سنة إحدى وخمسين [وخمسمائة][1].

ذكر مُلك الفرنج مدينة بُونَة وموت رُجار ومُلك ابنه غُليالم

في هذه السنة سار أسطول رُجّار ملك الفرنج بصَقَلّية إلى مدينة بُونَة، وكان المقدّم عليهم فتاه فيلب المَهدَويّ، فحصرها واستعان بالعرب عليها، فأخذها في رجب، وسبىَ أهلها، وملك ما فيها، غير أنّه أغضى عن جماعة من العلماء والصالحين، حتى خرجوا بأهليهم وأموالهم إلى القرى، فأقام بها عشرة أيّام، وعاد إلى المهديّة وبعض الأسرى معه، وعاد إلى صَقَلّية فقبض رُجّار عليه لِما اعتمده من الرفْق بالمسلمين في بُونَة.

وكان فيلب، يقال إنّه وجميع فتيانه مسلمون، يكتمونه ذلك، وشهدوا عليه أنّه لا يصوم مع الملك، وأنّه مسلم، فجمع رُجّار الأساقفة والقسوس والفرسان، فحكموا بأن يُحرق، فأُحرق في رمضان، وهذا أوّل وَهْن دخل على المسلمين بصَقَلّية. ولم يمهل اللّه رُجّار بعده إلاّ يسيراً حتى [مات] في العشر الأول من ذي الحجّة من السنة، وكان مرضه الخوانيق، وكان عمره قريب ثمانين سنة، وكان مُلكُه نحو ستّين سنة؛ ولما مات ملك بعده ابنه غُليالم، وكان فاسد التدبير، سيّء التصوير، فاستوزر مايو البرصانيّ[2]، فأساء التدبير، فاختلفت عليه حصون من جزيرة صَقَلّية، وبلاد قلّورية، وتعدّى الأمر إلى إفريقية على ما نذكره[3].

ذكر وفاة بَهرام شاه صاحب غَزنة

في هذه السنة، في رجب، توفّي السلطان بَهرام شاه[4] بن مسعود بن إبراهيم، ابن مسعود بن محمود بن سُبُكتِكين صاحب غَزنَة بها، وقام بالملك بعده ولد نظام الدين خُسروشاه، وكانت ولاية بهرام شاه ستّاً وثلاثين سنة، وكان عادلاً، حَسَن السيرة، جميل الطريقة، محبّاً للعلماء، مُكرِماً لهم، باذلاً لهم الأموال الكثيرة، جامعاً للكتب تُقْرأ بين يديه، ويفهم مضمونها؛ ولما مات ملك ولده خُسروشاه.

---

(١) الخبر باختصار شديد في: المختصر في أخبار البشر ٣/٢٧.

(٢) في الباريسية: «مابو البصراني»، وفي نسخة (٧٤٠) «مانو»، و«الرصاي».

(٣) المختصر في أخبار البشر ٣/٢٧.

(٤) أنظر عن (بهرام شاه) في: زبدة التواريخ ٥٥ و١٨١ ـ ١٨٤، والمختصر في أخبار البشر ٣/٢٧، وتاريخ الإسلام (٥٤٨ هـ.) ص ٣٠٠ رقم ٤٢١.

ذكر مُلك الفرنج مدينة عَسقَلان

في هذه السنة ملك الفرنج بالشام مدينة عَسقَلان، وكانت من جملة مملكة الظافر باللّه العلويّ المصريّ، وكان الفرنج كلّ سنة يقصدونها ويحصرونها، فلا يجدون إلى مُلكِها سبيلاً، وكان الوزراء بمصر لهم الحكمُ في البلاد، والخلفاء معهم اسم لا معنى تحته، وكان الوزراء كلّ سنة يرسلون إليها من الذخائر والأسلحة والأموال والرجال مَن يقوم بحفظها. فلمّا كان في هذه السنة قُتل ابن السلاّر الوزير، على ما ذكرناه، واختلفت الأهواء في مصر، ووليَ عبّاس الوزارة، وإلى أن استقرّت قاعدةٌ، اغتنم الفرنج اشتغالهم عن عسقلان، فاجتمعوا وحصروها، فصبر أهلها، وقاتلوهم قتالاً شديداً، حتى إنّهم بعض الأيّام قاتلوا خارج السور، وردّوا الفرنج إلى خيامهم مقهورين، وتبِعهم أهل البلد إليها، فأيِس حينئذٍ الفرنج من مُلكه.

فبينما هم على عزم الرحيل إذ[1] قد أتاهم الخبر أنّ الخُلْف قد وقع بين أهله، وقُتل بينهم قتلى، فصبروا؛ وكان سبب هذا الاختلاف أنّهم لما عادوا عن قتال الفرنج قاهرين منصورين، أدّعى كلّ طائفة منهم أنّ النُصْرة من جهتهم كانت، وأنّهم هم الذين ردّوا الفرنج خاسرين، فعظُم الخصام بينهم إلى أن قُتل من إحدى الطائفتين قتيل، واشتدّ الخطْب حينئذٍ، وتفاقم الشرّ، ووقعت الحرب بينهم، فقُتل بينهم قتلى، فطمع الفرنج، وزحفوا إليه وقاتلوا عليه، فلم يجدوا من يمنعهم فملكوه[2].

ذكر حصر عسكر الخليفة تكْريت وعَودهم عنها

في هذه السنة سيّر الخليفة المقتفي لأمر اللّه عسكراً إلى تَكْريتَ ليحصروها،

---

(١) في الأوربية: «وإذا».

(٢) أنظر عن أخذ عسقلان في: ذيل تاريخ دمشق ٣٢١، ٣٢٢، والإعتبار ١٦، ١٧، والروضتين ١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٥، وتاريخ مختصر الدول ٢٠٨، وتاريخ الزمان ١٦٩، ومفرّج الكروب ١/ ١٢٦ (حوادث ٥٤٧ هـ.)، وزبدة الحلب ٢/ ٣٠٣، والأعلاق الخطيرة ٢/ ٢٦١، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢١٥، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٧، والدرة المضية ٥٤٨، ٥٤٩ و٥٦٢، ٥٦٣، ودول الإسلام ٢/ ٦٣، وتاريخ الإسلام (٥٤٨ هـ.) ص ٤٣، ٤٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٤، والإعلام والتبيين ٢٧، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٣١، ومرآة الجنان ٣/ ٢٨٦، واتعاظ الحنفا ٢/ ٢٠٦ و٢٠٩، وقطف الأزهار من الخطط والآثار لأبي السرور (مخطوط المكتبة الأهلية بباريس ٢١٧٦٥ ورقة ٣ أ، وتاريخ ابن سباط ١/ ٩٨.

وأرسل معهم مقدّماً عليهم أبا البدر ابن الوزير عَون الدين بن هُبَيرة، وتُرشَك، وهو من خواصّ الخليفة، وغيرهما، فجرى بين أبي البدر وتُرشك منافرة أوجبت أنْ كتب ابن الوزير يشكو من تُرشك، فأمر الخليفة بالقبض على تُرشك، فعرف ذلك، فأرسل إلى مسعود بلال، صاحب تَكريت، وصالحه وقبض على ابن الوزير ومَن معه من المتقدّمين، وسلّمهم إلى مسعود بلال، [فانهزم العسكر وغرق منه كثير، وسار مسعود بلال][1] وتُرشك من تكْرِيت إلى طريق خُراسان فنهبا وأفسدا، فسار المقتفي عن بغداد لدفعهما، فهربا من بين يديه، فقصد تكريت، فحصرها أيّاماً وجرى له مع أهلها حروبٌ من وراء السور، فقُتل من العسكر جماعةٌ بالنُّشّاب، فعاد الخليفة عنها، ولم يملكها[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وصلت مراكب من صَقَلّية، فيها جمْعٌ من الفرنج، فنهبوا مدينة تِنّيسَ بالديار المصريّة[3].

وفيها كان بين الكُرج بأرمينية وبين صليق، صاحب أرْزَن الروم، مصافّ وحربٌ شديدة، وانهزم[4] صليق وأسره الكُرج ثمّ أطلقوه.

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو العبّاس أحمد بن أبي غالب الورّاق المعروف بابن الطّلاّية[5] الزاهد البغداديّ بها، وكان من الصالحين، وله حديث ورواية.

---

(١) ما بين الحاصرتين من الباريسية والنسخة (٧٤٠).

(٢) أنظر عن حصار تكريت في: المنتظم ١٠/١٥٦ (١٨/٩٥)، وتاريخ الزمان ١٧٠، والمختصر في أخبار البشر ٣/٢٩، ودول الإسلام ٢/٦٤، ٦٥، والعبر ٤/١٣٤، ١٣٥، وعيون التواريخ ١٢/٤٨٧، ومرآة الجنان ٣/٢٩٢، وتاريخ الإسلام (٥٤٩ هـ.) ص ٤٦، وتاريخ ابن سباط ١/١٠٠ (حوادث ٥٤٩ هـ.).

(٣) ذيل تاريخ دمشق ٣٣١، الروضتين ١/٢٤٩، المختصر في أخبار البشر ٣/٢٧، الدرة المضية ٥٦٣، تاريخ ابن الوردي ٢/٥٤، عيون التواريخ ١٢/٤٨٠، تاريخ ابن سباط ١/٩٩.

(٤) في (أ): «فانهزم».

(٥) أنظر عن (ابن الطلاّية) في: تاريخ الإسلام (٥٤٨ هـ.) ص ٢٩٤ ـ ٢٩٦ رقم ٤١٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

وتوفّي عبد الملك بن عبد اللّه بن أبي سهل أبو الفتح بن أبي القاسم الكَرُوخيّ[1] الهَرَويّ، راوي «جامع التِّرْمِذيّ»، ومولده سنة اثنتين وستّين وأربعمائة، وتوفّي ببغداد في ذي الحجّة.

(١) أنظر عن (الكرُوخي) في: تاريخ الإسلام (٥٤٨ هـ.) ص ٣١٣ ـ ٣١٥ رقم ٤٤٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥٤٩)
ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة

ذكر قتل الظافر وخلافة ابنه الفائز

في هذه السنة، في المحرّم، قُتل الظافر بالله أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلويّ، صاحب مصر.

وكان سبب [قتله] أنّ وزيره عبّاساً كان له ولدٌ اسمه نصر، فأحبّه الظافر، وجعله من نُدمائه وأحبابه الذين لا يقدر على فراقهم ساعة واحدة، فاتّفق أنّ قدِم من الشام مؤيّد الدولة الأمير أُسامة بن مُنقذ الكنانيّ في وزارة ابن السلاّر، واتّصل بعبّاس، فحسَّن له قتل العادل بن السلاّر زوج أُمّه، فقتله، وولاّه الظافر الوزارة، فاستبدّ بالأمر، وتمّ له ذلك.

وعلم الأمراء والأجناد أنّ ذلك من فعل ابن مُنقذ، فعزموا على قتله، فخلا بعبّاس وقال له: كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول؟ قال: وما ذلك؟ قال: النّاس يزعمون أنّ الظافر يفعل بابنك نصر؛ (وكان)[1] نصر خِصّيصاً بالظافر، وكان ملازِماً له ليله ونهاره، وكان من أجمل النّاس صورة، وكان الظافر يُتّهم به، فانزعج لذلك وعظُم عليه، وقال: كيف الحيلة؟ قال: تقتله فيذهب عنك العار؛ فذكر الحال لولده نصر، فاتّفقا على قتله.

وقيل إنّ الظافر أقطع نصر بن عبّاس قرية قَلْيوب، وهي من أعظم قرى مصر، فدخل إليه مؤيّد الدولة بن مُنقذ، وهو عند أبيه عبّاس. قال له نصر: قد أقطعني مولانا قرية قليوب. فقال له مؤيّد الدولة: ما هي في مَهرك بكثير؛ فعظُم عليه وعلى أبيه، وأنِف من هذه الحال، وشرع في قتل الظافر بأمر أبيه، فحضر نصر عند الظافر وقال

---

(١) في الأصل: «يه»، والمثبت من (أ).

له: أشتهي أن تجيء إلى داري لدعوةٍ صنعتُها، ولا تُكثر من الجَمْع، فمشى معه في نفرٍ يسير مِن الخَدَم ليلاً، فلمّا دخل الدار قتلَه وقتل مَن معه، وأفلت خادم صغير اختبأ فلم يروه، ودفن القتلى في داره.

وأخبر أخاه عبّاساً الخبر، فبكّر إلى القصر، وطلب من الخدم الخِصّيصين بخدمة الظافر أن يطلبوا له إذْناً في الدخول عليه لأمرٍ يريد أن يأخذ رأيه فيه. فقالوا: إنّه ليس في القصر. فقال: لا بُدّ منه. وكان غرضه أن ينفي التهمة عنه بقتله، وأن يقتل مَن بالقصر ممّن يخاف أن ينازعه فيمن يقيمه في الخلافة؛ فلمّا ألحّ عليهم عجزوا عن إحضاره.

فبينما هم يطلبونه حائرين دهِشين لا يدرون ما الخبر إذ وصل إليهم الخادم الصغير الذي شاهد قتله، وقد هرب من دار عبّاس عند غفلتهم عنه، وأخبرهم بقتل الظافر، فخرجوا إلى عبّاس، وقالوا له: سل ولدك عنه فإنّه يعرف أين هو، لأنّهما خرجا جميعاً. فلمّا سمع ذلك منهم قال: أريد أن أعتبر القصر لئلاّ يكون قد اغتاله أحدٌ من أهله؛ فاستعرض القصر، فقتل أخوَين للظافر، وهما يوسف وجبِريل، وأجلس الفائز بنصر اللّه أبا القاسم عيسى بن الظافر بأمر اللّه إسماعيل ثاني يوم قُتل أبوه، وله من العمر خمس سنين، فحمله عبّاس على كتفه، وأجلسه على سرير المُلْك، وبايع له النّاس، وأخذ عبّاس من القصر من الأموال والجواهر والأعلاق النفيسة ما أراد، ولم يترك فيه إلاّ ما لا خير فيه(١).

ذكر وزارة الصالح طلائع بن رُزّيك

كان السبب في وزارة الصالح طلائع بن رُزّيك أنّ عبّاساً، لما قتل الظافر وأقام الفائز، ظنّ أنّ الأمر يتمّ له على ما يريده، فكان الحال خلاف ما اعتقده، فإنّ الكلمة اختلفت عليه، وثار به الجُند والسودان، وصار إذا أمر بالأمر لا يُلتفت إليه ولا يُسمع قوله، فأرسل مَن بالقصر من النساء والخدم إلى الصالح طلائع بن رُزّيك يستغيثون به، وأرسلوا شعورهم طيَّ الكتب؛ وكان في مُنية بني حَصِيب والياً عليها وعلى أعمالها،

---

(١) أنظر عن (الظافر بالله) في: تاريخ الإسلام (٥٤٩ هـ.) ص ٣٥٦، ٣٥٧ رقم ٤٩٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته. وكذا في: تاريخ ابن سباط ١/ ١٠٠.

وليست من الأعمال الجليلة، وإنّما كانت أقرب الأعمال إليهم، وكان فيه شهامة، فجمع ليقصد عبّاساً، وسار إليه، فلمّا سمع عبّاس ذلك خرج من مصر نحو الشام بما معه من الأموال التي لا تُحصى كثرة، والتُّحف والأشياء التي لا توجد إلاّ هناك ممّا كان أخذه من القصر. فلمّا سار وقع به الفرنج فقتلوه، وأخذوا جميع ما معه فتقوّوا به.

وسار الصالح فدخل القاهرة بأعلامٍ سود وثيابٍ سود حزناً على الظافر، والشعور التي أُرسلت إليه من القصر على رؤوس الرماح، وكان هذا من الفأل العجيب، فإنّ الأعلام السود العبّاسيّة دخلتها وأزالت الأعلام العلويّة بعد خمس عشرة سنة.

ولما دخل الصالح القاهرة خلع عليه خلع الوزارة، واستقرّ في الأمر، وأحضر الخادم الذي شاهد قتل الظافر، فأراه موضع دفنه، فأخرجه ونقله إلى مقابرهم بالقصر.

ولما قتل الفرنج عبّاساً أسروا ابنه، فأرسل الصالح إلى الفرنج وبذل لهم مالاً وأخذه منهم، فسار من الشام مع أصحاب الصالح، فلم يكلّم أحداً منهم كلمة إلى أن رأى القاهرة فأنشد:

بلَى نحنُ كُنّا أهلَها، فأبادَنَا ... صُرُوفُ اللّيالي وَالجدودُ العَواثرُ[1]

وأُدخل القصر، فكان آخر العهد به، فإنّه قُتل، وصُلب على باب زَويلة، واستقصى الصالح بيوت الكبار والأعيان بالديار المصريّة فأهلك أهلها وأبعدهم عن ديارهم، وأخذ أموالهم، فمنهم مَن هلك، ومنهم مَن تفرّق في بلاد الحجاز واليمن وغيرهما؛ فعل ذلك خوفاً منهم أن يثوروا عليه وينازعوه في الوزارة؛ وكان ابن مُنقذ قد هرب مع عبّاس، فلمّا قُتل هرب إلى الشام[2].

---

(١) إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٢٠.

(٢) أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٩٤، نزهة المقلتين ٧٠ ـ ٧٣، أخبار الدول المنقطعة ١٠٨، ١٠٩، نهاية الأرب ٢٦/ ٩٥، ذيل تاريخ دمشق ٣٢٠، وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٦ ـ ٥٢٩، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة لابن سعيد ٩١، الدرة المضية ٥٦٧، تاريخ ابن الفرات ٣/ورقة ٨١ أ، ب، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢١٥ ـ ٢٢٢، المواعظ والاعتبار ١/ ٣٥٧ و٢/ ٣٠، ٥٦، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٩٧، بدائع الزهور ج ١ ق ١/ ٢٢٩.

ذكر حصر تكرِيت ووقعة بِكَمْزَا[1]

في هذه السنة أرسل الخليفة المقتفي لأمر الله رسولاً إلى والي تكريت، بسبب مَن عندهم من المأسورين، وهم ابن الوزير وغيره، فقبضوا على الرسول، فسيّر الخليفة عسكراً إليهم، فخرج أهل تكريت، فقاتلو العسكر ومنعوه من الدخول إلى البلد؛ فسار الخليفة بنفسه مستهلّ صفر فنزل على البلد، فهرب أهله، فدخل العسكر فشعثّوا ونهبوا بعضه، ونصب على القلعة ثلاثة عشر منجنيقاً، فسقط من أسوارها برج، وبقي الحصر كذلك إلى الخامس والعشرين[2] من ربيع الأوّل.

وأمر الخليفة بالقتال والزحف، فاشتدّ القتال، وكثُر القتلى، ولم يبلغ منها غرضاً، فرحل عائداً إلى بغداد، فدخلها آخر الشهر، ثمّ أمر الوزير عون الدين بن هُبَيرة بالعَود إلى محاصرتها، والاستعداد، والاستكثار من الآلات للحصار، فسار إليها سابع ربيع الآخر، ونازلها وضيّق عليها، فوصل الخبر بأنّ مسعود بلال وصل إلى شَهرابان ومعه البَقش كُون خرَ[3] وتُرشك في عسكر كثير، ونهبوا البلاد، فعاد الوزير إلى بغداد.

وكان سبب وصول هذا العسكر أنّهم حثّوا الملك محمّداً ابن السلطان محمود على قصد العراق، فلم يتهيّأ له ذلك، فسيّر هذا العسكر، وانضاف إليهم خلق كثير من التركمان، فخرج الخليفة إليهم، فأرسل مسعود بلال إلى تَكريت، وأخرج منها الملك أرسلان ابن السلطان طُغرُل بن محمّد، وكان محبوساً بتَكريت، وقال: هذا السلطان نقاتل بين يديه بإزاء الخليفة.

والتقى العسكران عند بِكَمْزا بالقرب من بَعقُوبا[4]، ودام بينهم المناوشة والمحاربة ثمانية عشر يوماً، ثمّ إنّهم التقوا آخر رجب فاقتتلوا، فانهزمت ميمنة عسكر الخليفة وبعض القلب، حتى بلغت الهزيمة بغداد، ونُهبت خزائنه، وقُتل خازنُه، فحمل الخليفة بنفسه هو وولّي عهده وصاح: يا آل هاشم! كذب الشيطان؛ وقرأ ﴿وَرَدَّ اللَّهُ

(١) في الباريسية والنسخة (٧٤٠)) «نكمرا».

(٢) في الأوربية: «وعشرين».

(٣) في نسخة: «خز».

(٤) في الأوربية: «يعقوبا».

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً﴾[1] وحمل باقي العسكر معه فانهزم مسعود والبَقش وجميع مَن معهم، وتمّت الهزيمة، وظفر الخليفة بهم، وغنم عسكره جميع مال التركمان من دوابّ وغنم وغير ذلك، فبيع كلّ كبش بدانق؛ وكانوا قد حضروا بنسائهم وأولادهم وخركاهاتهم وجميع مالهم، فأُخذ جميعه، ونودي: مَن أخذ من أولاد التركمان ونسائهم شيئاً فليردّه؛ فردّوه، فأخذ البقش كُون خَر الملك أرسلان، وانهزم إلى بلد اللّحف وقلعة الماهكي.

وفي هذه الحرب غدر بنو عوف من عسكر الخليفة، ولحقوا بالعجم، ومضى هندي الكرديّ أيضاً معهم. وكان الملك محمّد قد أرسل عسكراً مع خاصّ بك بن آقْسنقر نجدةً لكون خرَ، فلمّا وصلوا إلى الراذان بلغهم خبر الهزيمة فعادوا[2]، ورجع الخليفة إلى بغداد فدخلها أوائل شعبان، فوصله الخبر أنّ مسعود بلال وتُرشك قصدا مدينة واسط فنهبا وخرّبا[3] فسيّر الخليفة الوزير ابن هُبَيرة في عسكر خامس عشر شعبان، فانهزم العجم، فلقيهم عسكر الخليفة، ونهب منهم شيئاً كثيراً، وعادوا إلى بغداد، فلقّب الوزيرُ سلطان العراق ملك الجيوش.

وسيّر الخليفة عسكراً إلى بلد اللّحف فأخذه وصار في جملته، وأمّا الملك أَلْبُ أرسلان بن طُغْرُل فإنّ البَقش أخذه معه إلى بلده، فأرسل إليه الملك محمّد يقول له ليحضر عنده وأرسلان معه، فمات البقش كون خرَ في رمضان في هذه السنة، وبقي أرسلان مع ابن البقش، وحسن الجاندار، فحملاه [إلى] الجبل، فخاف الملك محمّد أن يصل أرسلان إلى زوج أمّه إيلدكز فيجعله ذريعة إلى قصد البلاد، فلم ينفعه حذره، واتّصل أرسلان بإيلدكز زوج أمّه فصار معه، وهو أخو البهلوان بن إيلدكز لأمّه، وطُغرُل الذي قتله خُوارزم شاه ولد[4] أرسلان بهذا، وكان طُغْرُل آخر السلجوقيّة[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٥.

(٢) في الأوربية: «فعاد».

(٣) في الأوربية: «فنهبوا وخربوا».

(٤) في الباريسية ونسخة (٧٤٠): «وكذا».

(٥) أنظر خبر تكريت في: المنتظم ١٠/١٥٦ (١٨/٩٥)، تاريخ الزمان ١٧٠، المختصر لأبي الفداء ٣/٢٩، دول الإسلام ٢/٦٤، تاريخ الإسلام (٥٤٩ هـ.) ص ٤٦، العبر ٤/١٣٤، ١٣٥، تاريخ ابن الوردي ٢/٥٥، عيون التواريخ ١٢/٤٨٧، مرآة الجنان ٣/٢٩٢، تاريخ ابن سباط ١/١٠٠.

ذكر مُلك نور الدين محمود مدينة دمشق

في هذه السنة، في صفر، ملك نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر مدينة دمشق، وأخذها من صاحبها مُجير الدين أبق بن محمّد بن بُوري بن طُغدَكِين أتابك.

وكان سبب جِدّه في ملْكها أن الفرنج لما ملكوا في العام الماضي مدينة عسقلان لم يكن لنور الدين طريق إلى إزعاجهم عنها لاعتراض دمشق بينه وبين عسقلان، فلمّا ملك الفرنج عسقلان طمعوا في دمشق، حتى إنّهم استعرضوا كل مَن بها من مملوك وجارية من النصارى، فمَن أراد المقام بها تركوه، ومَن أراد العَود إلى وطنه أخذوه قهراً شاء صاحبه أم أبَى.

وكان لهم على أهلها كل سنة قطيعة يأخذونها منهم، فكان رُسُلهم يدخلون البلد ويأخذونها منهم، فلمّا رأى نور الدين ذلك خاف أن يملكها الفرنج، فلا يبقى حينئذٍ للمسلمين بالشام مُقام، فأعمل الحيلة في أخذها حيث علم أنّها لا تُملك قوةً، لأنّ صاحبها متى رأى غلبه راسل الفرنج واستعان بهم، فأعانوه لئلاّ يملكها مَن يقوى بها على قتالهم، فراسل مجيرَ الدين صاحبها واستماله، وواصله بالهدايا، وأظهر له المودّة حتى وثق به[1]، فكان نور الدين يقول له في بعض الأوقات: إنّ فلاناً قد كاتبني في تسليم دمشق؛ يعني[2] بعض أمراء مجير الدين؛ فكان يبعد الذي قيل عنه، ويأخذ أقطاعه، فلمّا لم يبقَ عنده من الأمراء أحدٌ قدّم أميراً يقال له عطا بن حفّاظ السلميّ الخادم، وكان شهماً شجاعاً، وفوّض إليه أمر دولته، فكان نور الدين لا يتمكّن معه من أخْذ دمشق، فقبض عليه مُجير الدين وقتله، فسار نور الدين حينئذٍ إلى دمشق، وكان قد كاتب مَن بها من الأحداث واستمالهم، فوعدوه بالتسليم إليه، فلمّا حصر نور الدين البلد أرسل مجير الدين إلى الفرنج يبذل لهم الأموال، وتسليم قلعة بعلبكّ إليهم لينجدوه، ويرحّلوا نور الدين عنه، فشرعوا في جمع فارسهم وراجلهم ليرحّلوا نور الدين عن البلد، فإلى أن اجتمع لهم ما يريدون تسلّم نور الدين البلد، فعادوا بخُفّي حُنين.

---

(١) في الأوروبية: «إليه».

(٢) في الأوروبية: «يعين».

وأمّا كيفيّة تسليم دمشق فإنّه لما حصرها ثار الأحداث الذين راسلهم، فسلّموا إليه البلد من الباب الشرقيّ وملكه، وحصر مجير الدين في القلعة، وراسله في تسليمها، وبذل له إقطاعاً من جملته مدينة حمص، فسلّمها إليه وسار إلى حمص، ثمّ إنّه راسل أهل دمشق ليسلّموا إليه، فعلم نور الدين ذلك فخافه، فأخذ منه حمص، وأعطاه عِوَضاً عنها بَالِسَ، فلم يرضها، وسار منها إلى العراق، وأقام ببغداد، وابتنى بها داراً بالقرب من النظاميّة، وتوفّي بها[1].

ذكر قصد الإسماعيليّة خُراسان والظفر بهم

في هذه السنة، في ربيع الآخر، اجتمع جمع كثير من الإسماعيليّة من قُهِستان، بلغت عِدّتهم سبعة آلاف رجل ما بين فارس وراجل، وساروا يريدون خُراسان لاشتغال عساكرها بالغُزّ، وقصدوا أعمال خَوَافَ وما يجاورها، فلقِيهم الأمير فَرْخشاه بن محمود الكاسانيّ[2] في جماعة من حَشَمه وأصحابه، فعلم أنّه لا طاقة له بهم، فتركهم وسار عنهم، وأرسل إلى الأمير محمّد بن أُنُر، وهو من أكابر أُمراء خُراسان وأشجعهم، يعرّفه الحال، وطلب منه المسير إليهم بعسكره ومَن قدر عليه من الأمراء ليجتمعوا عليهم ويقاتلوهم.

فسار محمّد بن أُنُر في جماعةٍ من الأمراء وكثير من العسكر، واجتمعوا هم وفرخشاه، وواقعوا الإسماعيليّة وقاتلوهم، وطالت الحرب بينهم، ثمّ نصر اللّه المسلمين وانهزم الإسماعيليّة، وكثُر القتل فيهم، وأخذهم السيف من كلّ مكان، وهلك أعيانهم وساداتهم: بعضهم قُتل، وبعضهم أُسر، ولم يسلم منهم إلاّ القليل الشريد، وخلت قلاعهم وحصونهم من حامٍ ومانع، فلولا اشتغال العساكر بالغُزّ لكانوا

(1) أنظر عن أخذ دمشق في: ذيل تاريخ دمشق ٣٢٧ ـ٣٢٩، والتاريخ الباهر ١٠٦ ـ١٠٨، وزبدة الحلب ٢/ ٣٠٤،٣٠٥، والأعلاق الخطيرة ٢/ ٤٧، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٢٠،٢٢١، ومفرّج الكروب ١/ ٣٠٤، والدرة المضية ٥٦١، وتاريخ مختصر الدول ٢٠٨، والمختصر لأبي الفداء ٣/ ٢٩، ونهاية الأرب ٢٧/ ١٦٠،١٦١، والعبر ٤/ ١٣٥،١٣٦، ودول الإسلام ٢/ ٦٥، وتاريخ الإسلام (٥٤٩ هـ.) ص ٤٩،٥٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٥٥، ومرآة الجنان ٣/ ٢٩٥، والبداية والنهاية ١/ ٢٣١،٢٣٢، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٤١،٢٤٢، والكواكب الدرية ١٤٤ ـ١٤٦، واتعاظ الحنفا ٢/ ٢١٠، وتاريخ ابن سباط ١/ ١٠٠،١٠١.

(2) في الباريسية: (٧٤٠): «الكلشاني»، وفي نسخة: «أركاساس».

ملكوها بغير تعب ولا مشقّة، وأراحوا المسلمين منهم، ولكنْ للّه أمرٌ هو بالغه[1].

ذكر مُلك نور الدين تَلّ باشِر

في هذه السنة، أو التي بعدها، ملك نور الدين محمود بن زنكي قلعة تَلّ باشِر، وهي شماليّ حلب من أمنع القلاع.

وسبب ملكها أنّ الفرنج لما رأوا مُلك نور الدين دمشق خافوه، وعلِموا أنّه يقوى عليهم، ولا يقدرون على الانتصاف منه، لما كانوا يرون منه قبل مُلكها، فراسله مَن بهذه القلعة من الفرنج، وبذلوا له تسليمها، فسيّر إليهم الأمير حسّان المَنبِجيّ، وهو من أكابر أمرائه، وكان إقطاعه ذلك الوقت مدينة مَنبج، وهي تقارب تلّ باشِر، وأمره أن يسير إليها ويتسلّمها، فسار إليها وتسلّمها منهم، وحصّنها ورفع إليها من الذخائر ما يكفيها سنين كثيرة[2].

ذكر عدّة حوادث

[الوفيات]

في هذه السنة مات أستاذ الدّار أبو الفتوح[3] عبد اللّه بن هبة اللّه بن المظفّر ابن رئيس الرؤساء، وكان له صدقات، ومعروف كثير، ومجالسة للفقراء. ولما مات ولّى الخليفة ابنه الأكبر عضد الدين أبا الفرج محمّد بن عبد اللّه ما كان إلى أبيه.

وتوفّي عبد الرحمن بن عبد الصمد بن أحمد بن عليّ أبو القاسم الأكّاف[4] النّيسابوري، كان زاهداً، عابداً، فقيهاً، مناظراً، وكان السلطان سَنجَر يزوره ويتبرّك بدعائه، وكان ربّما حَجَبَه فلا يمكنه من الدخول إليه.

---

(١) تاريخ الإسلام (٥٤٩ هـ.) ص ١٥٠ دول الإسلام ٢/٦٦، ٦٧ (حوادث ٥٥٠ هـ.).

(٢) المختصر في أخبار البشر ٣/٢٩، تاريخ ابن الوردي ٢/٥٦، تاريخ ابن خلدون ٥/٢٤٢، تاريخ ابن سباط ١/١٠١.

(٣) أنظر عن (أبي الفتوح) في: المنتظم ١٠/١٥٩ رقم ٢٤٣ (١٨/٩٩ رقم ٤١٩٢) وتاريخ الإسلام (٥٤٩ هـ.) ص ٣٦٣، ٣٦٤، رقم ٥١٣.

(٤) أنظر عن (الأكاف) في: تاريخ الإسلام (٥٤٩ هـ.) ص ٣٦٥، ٣٦٦، رقم ٥١٨ وفيه مصادر ترجمته.

وفيها توفّي ثقة الدولة أبو الحسن عليُّ بن محمّد الدّرَيْنيّ[1]، وكان يخدم أبا نصر أحمد بن الفرج الأبَريّ، فربّاه حتى قيل: «ابن الأبَري»، وزوّجه ابنته شهْدة الكاتبة، فقرّبه المقتفي لأمر الله، ووكّله فبنى مدرسة بباب الأَزَج.

(١) في طبعة صادر ١١/ ٢٠٠ «الدويني» بالواو، وهو غلط، والتصحيح من مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٥٤٩ هـ.) ص ٣٦٩، ٣٧٠ رقم ٥٢٧.

(٥٥٠)
ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة

[ذكر عدّة حوادث]

في هذه السنة سار الخليفة المقتفي لأمر اللّه إلى دَقُوقا فحصرها، وقاتل مَن بها، ثمّ رحل عنها لأنّه بلغه أنّ عسكر الموصل قد تجهّزوا للمسير لمنعه عنها، فرحل ولم يبلغ غرضاً[(١)].

وفيها استولى شَمْلَةُ التّركمانيُّ على خُوزستان، وكان قد جمع جمعاً كثيراً من التركمان، وسار يريد خُوزستان، وصاحبه حينئذٍ ملكشاه بن محمّد، فسيّر الخليفة إليه عسكراً، فلقيهم شملة في رجب، وقاتلهم، فانهزم عسكر الخليفة، وأُسر وجوههم، ثمّ أحسن إليهم وأطلقهم، وأرسل يعتذر، فقبل عُذره، وسار إلى خُوزستان فملكها، وأزاح عنها ملكشاه ابن السلطان محمود[(٢)].

وفيها سار الغُزّ إلى نيسابور، فملكوها بالسيف، فدخلوها وقتلوا[(٣)] (محمّد بن يحيَى الفقيه الشافعيّ و)[(٤)]نحواً من ثلاثين ألفاً، وكان السلطان سَنجَر له اسم السلطنة، وهو معتقَل لا يُلتفت إليه، حتى إنّه أراد كثيراً من الأيّام أن يركب، فلم يكن له مَن يحمل سلاحه، فشدّه على وسطه وركب.

وكان إذا قُدّم إليه طعام يدّخر منه ما يأكله وقتاً آخر، خوفاً من انقطاعه عنه، لتقصيرهم في واجبه، ولأنّهم ليس هذا ممّا يعرفونه[(٥)].

---

(١) المنتظم ١٠/ ١٦١ (١٨/ ١٠١)، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٩، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٢٤.

(٢) المنتظم ١٠/ ١٦١ (١٨/ ١٠١، ١٠٢).

(٣) في (ب): «وقتلوا فيها وفيمن قتلوا».

(٤) ما بين القوسين من (أ).

(٥) المنتظم ١٠/ ١٦١ (١٨/ ١٠١)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٢٤، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٠٩، =

وفيها وثب قسوس الأرمن بمدينة آني فأخذوها من الأمير شدّاد، وسلّموها إلى أخيه فَضلون.

وفيها، في ذي الحجّة، قتل الأتراك القارغليّة طُمغاج خان بن محمد بما وراء النهر، وألقوه في الصحراء، ونسبوه إلى أشياء قبيحة؛ وكان مُدّة ملكه مستضعفاً غير مهيب.

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو الفضل محمد بن ناصر[١] بن عليّ البغداديّ الحافظ الأديب وكان مشهوراً بالفضل، وكان شافعيّاً، وصار حَنْبليّاً مُغالياً، ومولده سنة سبع وستّين وأربعمائة في شعبان، وكان موته أيضاً في شعبان.

وفيها كان بالعراق وما جاوره من البلاد زلزلة كبيرة في ذي الحجّة[٢].

وفيها[٣] توفّي يحيَى الغسّانيّ النحويّ الموصليّ، وكان فاضلاً خيّراً.

وتاج الدين أبو طاهر يحيَى بن عبد الله بن القاسم الشّهْرَزُوريّ، قاضي جزيرة ابن عُمَر[٤].

= تاريخ الإسلام (٥٥٠ هـ.) ص ٥١، تاريخ ابن الوردي ٥٦/٢، عيون التواريخ ٤٦٥/١٢، ٤٦٦، تاريخ ابن سباط ١٠٢/١.

(١) أنظر عن (محمد بن ناصر) في: تاريخ الإسلام (٥٥٠ هـ.) ص ٤٠٤ ـ ٤١١ رقم ٥٩٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) كشف الصلصلة ١٨٥.

(٣) من هنا إلى نهاية الفقرة في (أ).

(٤) في (ب) زيادة: «وكان إماماً فاضلاً، وكانت وفاته بالموصل».